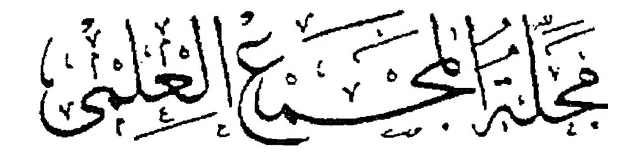


مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الثاني - المجلد الثالث والخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م





الجزء الثاني ـ المجلد الثالث والخمسون

بغـــداد

١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

(شروط النشر وضوابطه)

١. تنشر المجلّة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق أهداف المجمع.

٢. لغة المجلّة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة.

٣. يشترط في البحث أن لايكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة أخرى.

٤. تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الإختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر.

٥. هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦. يرسل البحث الى المجلّة بالمواصفات الآتية:

أ. أن يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة أو مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة.

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملاً باللغة العربية.

ت. يجب أن لا يزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفياً للمصادر والمراجع، موثقة توثيقاً تاماً حسب الأصول المعتمدة في التوثيق العلمي.

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى، على أن يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر إذا كانت مقتبسة.

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والإنكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص.

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية.

٧. يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشرة مستلات من بحثه.

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجه البحوث والمراسلات إلى : رئيس تحرير مجلـــة المجمـــع العلمـــي المجمـــع العلمـــي ـ ص. ب. (٤٠٢٣) بغـــداد ـ جمهوريـــة العـــراق

هـــاتف : (٤٢٢٤٢٠٢) فـــاكس : (٤٢٢٢٠٦٦/ ١ ـ ٩٦٤)

البريد الإلكتروني : iraqacademy @ yahoo.com

ـ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .

خارج العراق (٥٠) دولار أمريكي سنوياً وتضاف أجرة البريد .

الفهــرس

نظرة في إسهامات الفكر العربي والإسلامي العلمية

أ.د. داخل حسن جريو
رئيس المجمع العلمي

الملخص

سعى المسلمون بوحي من عقيدتهم الدينية إلى طلب العلم واكتساب المعرفة بكل الوسائل الممكنة، ومن هذا المنطلق ازدهرت العلوم المختلفة في كنف الحضارات الإسلامية المختلفة في مشارق الأرض ومغاربها وبرز علماء عرب ومسلمين أفذاذ تركوا أثارهم البارزة في تقدم العلوم ورقيها ليس في بلدانهم فحسب، بل الحضارة الإنسانية لقرون طويلة.

يشير المؤرخون إلى ازدهار العلوم في حقبتين بارزتين، أولها في القرن التاسع الميلادي بازدهار الحضارة العباسية في بغداد، وثانيها في الأندلس في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

ابتدأ العلماء العرب والمسلمون بترجمة واسعة للنتاج العلمي الإغريقي أولا، وتطويره لاحقا في ضوء التراكم المعرفي للعلماء العرب والمسلمين، وبروز مدارس علمية إسلامية الجذور والهوية، أصيلة في منهجها ونتائجها.

تسلط هذه الدراسة الضوء على نتاجات العلماء العرب والمسلمين في حقول المعرفة المختلفة التي كان لها أثارا علمية وتقنية بارزة في التنمية العلمية وإثراء المعرفة الإنسانية والتي تعد أساس النهضة الأوربية في العصور الوسطى وذلك استنادا إلى المصادر العلمية التي تناولت دراسة النتاج العلمي العربي والإسلامي دراسة مستفيضة.

المقدمة

تشير البحوث والدراسات والآثار الشاخصة حتى يومنا هذا إلى عظمة الحضارة العربية الإسلامية وإسهامها الفاعل والمؤثر في الحضارة الإنسانية، بفضل ما حققه العلماء العرب والمسلمون من إنجازات علمية باهرة، بوحي من عقيدتهم الإسلامية المتفتحة نحو العلم والمعرفة، ولا عجب في ذلك، إذ إن أول أية نزلت على النبي العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، كانت تدعو إلى العلم بقوله تعالى بسورة العلق: **بسم الله الرحمن الرحيم "اقرأ بآسم ربّكَ الّذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ من علقٍ، اقْرأ وَربُّكَ الأكرمُ الْذي عَلّمَ بالقلمِ، عَلّمَ الإنسانَ مَا لَم يَعلَم" (العلق:٥)**. كما أمر الله سبحانه وتعالى بطلب العلم **بقوله تعالى: "وقل رب زدني علما" (طه:١١٤)** وخص الله العلماء بمكانه رفيعة **بقوله تعالى: "يرفَع اللهُ الذينَ امَنوُا مِنكُم والذينَ أُوتُوا العِلَم دَرجات" (المجادلة:١١) وقوله تعالى: "هَل يَستَوِي الذينَ يَعلَمُونَ والّذِينَ لا يَعلمُونَ" (الزمر:٩)**. لقد اهتم القرآن الكريم بالعلم اهتماما كبيرا، فقد ذكرت كلمة العلم ومشتقاتها في (٨٠٠) آية، منها **قوله تعالى في (سورة النساء:١١٣): "وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم"**، وقوله تعالى في **(سورة البقرة:١٥١): "ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون"**، فضلا عن ذكر العقل في (٤٨) اية، والفكر في (١٩) آية، منها قوله تعالى في **(سورة يونس:٢٤): "كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون"**، والحوار والجدل (٢٩) اية، منها قوله تعالى في **(سورة الكهف:٥٤): "وكان الأنسان اكثر شئ جدلا"**، والرأي (٣٣٢) آية، وبصر (١٤٩) آية، ونظر(٩٩) آية، فضلا عن الكتابة وموادها وما يتعلق بها، كقوله تعالى في **(سورة سبأ:٤٤): "وما آتيناهم من كتب يدرسونها"**.

وحث الرسول الكريم على طلب العلم **بالحديث الشريف "اطلب العلم ولو كان في الصين"، وحديثه الشريف: "اطلب العلم من المهد إلى اللحد"** وخص العلماء بمكانه بارزة **بالحديث الشريف: "العلماء ورثة الأنبياء"** وقوله في **الحديث الشريف: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء"**.

ومن هنا اهتم الخلفاء المسلمون اهتماما بالغا بالعلماء بتوفير الأجواء المناسبة لأداء أعمالهم ورعايتهم وإبراز مكانتهم الاعتبارية في مجالسهم، مما كان له الأثر البالغ بتقدم العلوم وتطورها وإثراء وإنماء المعارف المختلفة، وشهدت البلاد الاسلامية نهضة علمية بارزة لاسيما في بغداد زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد وابنه الخليفة المأمون الذي انشأ بيت الحكمة ليكون ملتقى العلماء ورجال الفكر من جميع إرجاء العالم، وكذلك شهدت بلاد الأندلس في زمن الخلافة الأموية ازدهارا علميا باهرا، كان لهذا الازدهار أثارا كبيرة على نهضة أوربا، إذ قام الأوربيون بحركة ترجمة واسعة لنتاجات العلماء العرب المسلمين وأصبحت مدن قرطبة وطليطلة مراكز إشعاع للفكر العربي والإسلامي طوال قرون عديدة.

وشهدت مدن اسلامية عديدة في عصور مختلفة نهضة علمية، كان ابرز هذه المدن سمرقند وبخارى والقاهرة والقسطنطينية وغيرها. وبتدهور الحضارة العربية الإسلامية انتقلت العلوم والمعارف الى أوربا لتكون مركز الإشعاع العلمي والفكري في العالم ابتدءا من عصر النهضة الأوربية في القرون الوسطى وحتى يومنا هذا، وذلك بالإفادة من نتاجات العلماء العرب والمسلمين التي نقلوها إلى بلادهم.

نقل النتاج العلمي العربي والاسلامي

لقد ادرك الاوربيون منذ القرن العاشر الميلادي تفوق العلماء العرب والمسلمين في مختلف العلوم والمعارف، لذا فقد سعى العلماء الاوربيون الى نقل النتاج العلمي العربي والإسلامي إلى بلدانهم. ويعد البابا Sylvester الثاني اول الاوربيون الذين قاموا بنقل علوم الفلك والرياضيات العربية والاسلامية وادخال نظام الارقام العربية الى اوربا بدلا من الارقام الرومانية. وقد تبعه بعد ذلك كثيرون، ابرزهم Constantina Africanus في القرن الحادي عشر، والبابا Rayniord في القرن الثاني عشر. ومنذ القرن الحادي عشر اصبحت طليطلة في الاندلس مركزا لنقل العلوم والحضارة العربية الاسلامية الى اوربا، واصبحت منذ ذلك الحين ملتقى العلماء ورجال الفكر من ارجاء اوربا المختلفة الذين يتوافدون عليها للاستزادة من علومها ومعارفها ونقلها الى بلدانهم، ولعل ابرزهم:

Adelard of Bath, John of Seville,Gerard Cremona Stephenson of Saragossa, Michael Scot, Robert of Chester, Philip of Tripoli, William of lunis.

وقد كانت الترجمات الاولى من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية وبعضها الى اللغة العبرية، نقلت بعد ذلك الى اللغات الاوربية المختلفة.

ترجم Gerard اكثر من ٧٠ كتابا عربيا الى اللغة اللاتينية في مختلف العلوم والمعارف، ومنها كتب هامة مثل كتاب القانون لابن سينا وكتاب التصريف للزهراوي ودراسات البيروني لأعمال الخوارزمي، واعمال ابناء موسى الثلاث محمد واحمد والحسن وغيرهم.

اسهامات العلماء العرب والمسلمون:

نتناول في هذا البند ابرز العلوم والمعارف التي ابدع فيها العلماء العرب والمسلمون في العصور الاسلامية المختلفة:

الرياضيات

لقد حقق العلماء المسلمون انجازات علمية رائعة في الرياضيات منذ عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد عام ٧٨٦ الذي شجع العلماء على ترجمة كتب الاغريق الى اللغة العربية مثل كتاب عناصر اقليدس الذي ترجمه الحجاج، وبعده الخليفة العباسي المأمون الذي انشأ بيت الحكمة في بغداد الذي اصبح مركزا للترجمة والبحوث وملتقى العلماء والباحثين العرب والمسلمين، ولعل ابرزهم حينذاك الكندي وابناء موسى، وكان محمد بن موسى الابن الاكبر من ابناء موسى اكثرهم شهرة اذ كان عالما بالهندسة والفلك والموسيقى وحنين بن اسحق الذين يعزى اليهم الفضل بترجمة الكثير من الكتب العلمية الاغريقية كجزء من جهودهم البحثية لتطوير هذه العلوم، وليس لنقلها الى اللغة العربية فحسب. ومن هذه الكتب التي ترجمت حينذاك: العناصر، والبيانات، والبصريات، والظاهرة، والقسمة لاقليدس، والكرة والاسطوانة، وقياس الدائرة لارخميدس. بعدها أنجز العلماء المسلمون أعمالا علمية باهرة من القرن التاسع الميلادي حتى القرن الخامس عشر. ويكفي أن نشير هنا إلى إنجازات العالم الفذ الخوارزمي الذي يعزى اليه اكتشاف علم الجبر وإدخاله في الرياضيات، وكذلك ادخال الأرقام العربية الى اوربا بدلا من الارقام الرومانية وذلك في القرن الحادي عشر الميلادي.

كما اوجد العلماء المسلمون علم المثلثات في القرن التاسع الميلادي وذلك بفضل العالم البتاني الذي اوجد مفاهيم النسب المثلثية مثل الجيب والظل التمام، بينما درس العالم ثابت بن قرة المنحنيات مثل منحنيات القطع المكافئ والقطع الناقص، كما ساهم بتطوير مفاهيم الرياضيات في التفاضل والتكامل. وبعد مرور قرن من الزمان ادت اعمال العالم البزجاني الى تطوير نظريات المثلثات والمخروطيات.

وتعد اعمال العالم الخوارزمي (الذي يلقب حقا بأبو علم الجبر) فتوحات علمية باهرة. اذ يمثل علم الجبر نظرية موحدة تسمح للاعداد الصحيحة والاعداد الغير صحيحة والمقادير الهندسية ان تعامل كمقادير جبرية.

وقد مثل علم الجبر في حينه انتقالة ثورية في الرياضيات من مفاهيمها الاغريقية المستندة الى الهندسة الى مفاهيم رياضية صرف، كما انه قد هيأ الوسائل اللازمة للتطورات المستقبلية والتي ابرزها اعمال العالم المهاني الذي استطاع اختزال المسائل الهندسية الى مسائل جبرية وذلك بعد مرور اربعين سنة من اعمال الخوارزمي. واستطاع العالم ابو كمال شجاع المولود سنة ٨٥٠ ميلادية ايجاد روابط لتطوير الجبر بين اعمال الخورازمي والكرجي على الرغم من عدم استخدام اية رموز جبرية بل التعبير عن اسس الرمز كتابيا. ولم تستخدم الرموز الا في القرن الخامس عشر من العالمين ابن البنا والقلسيدي. ويعد العالم الكرجي المولود سنة ٩٥٣ اول عالم حرر الجبر من العمليات الهندسية واستبدالها بعمليات حسابية التي هي الان اساس علم الجبر حتى يومنا هذا. وتمكن العالم عمر الخيام المولود سنة ١٠٤٨ من تصنيف كامل للمعادلات التكعيبية بحلول هندسية. وحقق علماء مسلمون كثيرون

انجازات علمية كثيرة ابرزهم ثابت بن قرة المولود سنة ٨٣٦ م وابو البركات البغدادي المولود سنة ٩٨٠م وابن الهيثم المولود سنة ٩٦٥م و كمال الدين الفارسي المولود سنة ١٢٦٠م والعالم الرياضي محمد باقر يزدي في القرن السابع عشر الميلادي.

ولم تقتصر اعمال العلماء العرب على الجبر ونظرية الاعداد ومنظومات الاعداد، بل انها امتدت لتشمل الهندسة والمثلثات ورياضيات الفلك، اذ استطاع العالم ابراهيم بن سنان المولود سنة ٩٠٨م ادخال طريقة التكامل بصورة اكثر عمومية من ارخميدس، ودرس ابن الهيثم البصريات وخواص المرايا البصرية، واستخدم عمر الخيام المثلثات ونظرية التقريب لحل المعادلات الجبرية بطرق هندسية. ودرس ابراهيم بن سينا وثابت بن قرة المنحنيات المطلوبة للبناء واستخدم ابو الوفاء البوزجاني وابو ناصر منصور الهندسة الكروية في الدراسات الفلكية. واستخدم البيروني المولود سنة ٩٧٣م النسب المثلثية في بعض الدراسات الفلكية وحساب اطوال خطوط العرض والطول للكثير من المدن. وتمكن البتاني المولود سنة ٨٥٠م من اعطاء ملاحظات دقيقة ساعدت على تحسين بيانات بطليموس المتعلقة بالشمس والقمر. واستطاع العالم نصير الدين الطوسي المولود سنة ١٢٠١م تطوير نموذج بطليموس للمنظومة الشمسية الذي ظل معتمدا حتى زمن كوبرنيكوس. وانجز علماء الرياضيات المسلمون جداول النسب المثلثية ودوالها كجزء من دراساتهم الفلكية.

علم الفلك

حقق العلماء المسلمون انجازات علمية رائعة في علـم الفلـك. ويعزى بعض اسباب اهتمام العلماء المسلمون بهذا العلم الـى اعتمـاد المسلمين نظام التقويم القمري, مما دفعهم الى محاولـة حـل بعـض المشاكل المتعلقة برؤية الهلال لتحديد بدايات ونهايات الاشهر ولا سيما تحديد بداية ونهاية شهر رمضان ومواعيد الحج الى مكـة المكرمـة, وكذلك الحاجة لتحديد أحداثيات النجوم لغرض تحديد اتجاه القبلـة فـي المدن المختلفة لغرض اداء الصلاة. وقد دفع اهتمام العلماء المسـلمين بعلم الفلك الى انشاء المراصد الفلكية في انحاء العالم الاسلامي المختلفة في بغداد وهمدان وسمرقند والقسطنطينية وغيرهـا.. وقـام العلمـاء المسلمون بصنع الاجهزة والمعدات الفلكية كان ابرزها الاسـطرلاب الذي يمثل اهم الاجهزة الفلكية لغاية اختراع التلسكوب في القرن السابع عشر الميلادي. ويعد علماء الفلك المسلمين ابرز العلماء الذين تحـدوا نظريات الفلك السائدة عصوراً طويلة فيما يتعلق بالخسوف والكسـوف ومدارات الكواكب والاجرام السماوية ومواقعها. وفـي بدايـة القـرن الحادي عشر الميلادي تمكن العالم ابن الهيثم من قياس ارتفاع غـلاف الارض الجوي وتحديده بمقدار ٥٢ كم، وهذا المقدار لا يختلف كثيـرا عن مقداره الحالي الذي يبلغ ٥٠ كم. وفي القرن الرابع عشر صـمم العالم ابن الشاطر نماذجا لحركة القمر وكوكب المشتري, وهذه النماذج لا تختلف كثيرا عن نماذج العالم كوبرنيكوس في القرن السادس عشر. واستطاع العلماء المسلمون تطوير طرائق جديدة لتحديد الـزمن, ففـي

القرن التاسع عشر تم تحديد طول السنة الشمسية الى مايقارب طولها المعروف لدينا الان. ويعد التقويم المعروف بتقويم جلالي الذي صممه العالم عمر الخيام في القرن الثاني عشر افضل تقويم لحد الان. وقد كان لعلم الفلك تأثيرا في علم البصريات اذ استطاع العلماء المسلمون شرح الوان غروب الشمس وعملية تكوين الوان قوس قزح كما دحضوا النظرية القديمة التي مفادها ان البصر ناجم عن انعكاس اشعة منبعثة من العين اذ انهم برهنوا ان البصر ناجم من انعكاس الضوء من الاشياء التي تبصرها العين. وتشير الدراسات الى ان الكثير من اعمال العلماء الاوربيون مثل غاليلو وكوبرنيكوس ونيوتن في عصر النهضة الاوربية قد اعتمدت على اكتشافات العلماء المسلمين الذين سبقوهم.

الطب

برع العلماء المسلمون في الطب كثيرا ففي الوقت الذي لم تعرف فيه اوروبا المستشفيات، ويترك فيها مصير المرضى للقضاء والقدر دون اي مداخلات انسانية لمعالجة المرضى وتشخيص الامراض اذ انهم عزوا اسباب الامراض الى قوى خارقة وليس الى خلل في اعضاء الجسم البشري يمكن ان يعالجه الاطباء، كانت بلاد المسلمين تنشأ فيها المستشفيات لمعالجة المرضى وتشخيص الامراض والوقاية منها. وتفتح المستشفيات ابوابها طوال اليوم وهي تقدم خدماتها في الغالب مجاناً. بني اول مستشفى في البلاد الاسلامية في دمشق عام ٧٠٦م في زمن الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك. اما اعظم مستشفى فقد بني في دمشق ايضا سنة ١١٥٦م في زمن الملك نور الدين الزنكي، وعرفت هذه المستشفى باسم مستشفى النور وعدت هذه المستشفى بمثابة

مستشفى تعليمية من الطراز الاول، وقد استخدم الاطباء في المستشفى السجلات الطبية اول مرة في التاريخ وقد تخرج من هذه المستشفى اطباء كثيرون ابرزهم العالم الطبيب ابن النفيس. بعدها انتشرت المستشفيات في ارجاء العالم الاسلامي في بغداد والقاهرة وشمال افريقيا وغيرها. وتعد المدرسة الطبية بجامعة جاندشابو في بلاد فارس اكبر المدارس الطبية في العالم الاسلامي في القرن التاسع الميلادي. ويعد العالم الرازي ابرز علماء الطب في القرن التاسع الميلادي اذ اليه يعود الفضل بمعالجة امراض الحصبة والجدري، كما له دراسات هامة في امراض الحمى وحصى الكلى والجرب، وهو اول من استخدم الافيون لاغراض التخدير. وفي الفترة اللاحقة اصبح العالم ابن سينا اعظم الاطباء في العالم حينذاك، اذ اصبح كتابه الطبي الشهير يدرس في جامعات اوروبا سنين طوال. ويعزى اليه اكتشاف طبيعة الامراض المعدية مثل السل الذي بين امكانية انتشاره بواسطة الهواء، مما ادى الى عزل مرضى السل كوسيلة لمنع انتشاره. ويعتقد الكثيرون ان اعظم انجازات ابن سينا هي فلسفته الطبية التي اوجدت نظاما طبياً يتضمن الممارسة الطبية التي تراعي العوامل الجسدية والنفسية والادوية والتغذية مجتمعة معاً. واستطاع علماء مسلمون اخرون تشخيص امراض اخرى كثيرة منها: الطاعون والخناق والجذام والسعار والسكر والنقرس والصرع ونزف الدم الوراثي وذلك قبل تشخيصها من اطباء اخرين في العالم. وفي القرن العاشر اجرى العالم ابو القاسم الزهراوي اول عمليات جراحية للعين والاذن والحنجرة فضلا عن عمليات البتر والكوي. كما انه اخترع اجهزة جراحية عديدة للاذن الداخلية والحنجرة والاحليل. ويعد الزهراوي احد اعظم العلماء المسلمين، الف الزهراوي

كتابه الموسوم: كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف. وكان للعلماء المسلمين انجازات هامة في علم الادوية اذ اجروا التجارب الكثيرة لمعرفة التاثيرات الطبية للاعشاب المختلفة وبعض الادوية الاخرى, والتعرف على بعض جوانب التخدير. كما تعرفوا على اسلوب علاج وخز الابر من بلاد الصين. وبرز علماء كثيرون منهم: الطبيب سعد الكاتب في قرطبة الذي الف كتابا في الطب النسائي. وبرز في المغرب الطبيب ابو مروان عبدالملك ويعد كل من الفيلسوفين ابن طفيل وابن رشد من الاطباء البارزين في الاندلس. ولعل اهم الكتب الطبية العربية التي ترجمت الى اللغة اللاتينية كتاب حنين ابن اسحق الموسوم: المدخل الى الطب الذي كان يدرس في اوربا اكثر من ٦٠٠عام، وكتاب ابن سينا الموسوم: القانون في الطب الذي كان يدرس في اوربا والعالم الاسلامي قرونا طويلة، وقد اعيد طبع هذا الكتاب في اوربا اكثر من ٣٥ مرة.

الكيمياء والفيزياء

تعود بدايات نشوء علم الكيمياء الى جهود العلماء العرب والمسلمين الاوائل، ويكفي ان نشير هنا الى تسمية الكيمياء العربية الاصل. وكان لجهود العالم جابر بن حيان في القرن الثامن الفضل الاول بتطوير هذا العلم بمنهجه العلمي التجريبي لمعرفة خواص الكثير من المواد، والتي تعززت بجهود العالم محمد بن زكريا الرازي الذي طور الكيمياء الى علم الكيمياء. قسم الرازي المواد الى حيوان ونبات ومعادن، وصنع الكثير من الاجهزة الكيميائية التي ما زال البعض منها متداولا حتى الان باسمائها العربية. وتوصل الى نظرية الكبريت التي

تعد اساس نظرية الحامض-القاعدة الكيميائية. ولم تعرف اوربا علم الكيمياء الا بعد ترجمة الكتب العربية في القرن الحادي عشر. ويعود الفضل للعلماء العرب والمسلمين بتطوير الاعمال المختبرية للتحقق من صحة الفرضيات العلمية التي مازالت تستخدم في العلوم المختلفة حتى يومنا هذا، فضلا عن اعمالهم العلمية الباهرة في الفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان والرياضيات والهندسة. وفي الفيزياء تأتي في المقدمة اعمال العالم ابن الهيثم في مجال البصريات، ووصف العين وشرح عملية الابصار ودراسة الوزن النوعي، واستطاع العالم البيروني قياس كثافة ١٨ حجراً كريماً ومعدناً بدرجة عالية من الدقة. وتوصل الى ان سرعة الضوء اكبر من سرعة الصوت. اهتم العلماء العرب والمسلمون بعلم الادوية، ففي القرن الثاني عشر درس العالم الغافقي تأثيرات الادوية الطبية بكتابه الموسوم: الادوية البسيطة، موضحاً مواصفات هذه الادوية وسبل استخدامها.

علوم الحياة

اهتم العلماء العرب والمسلمون بتاريخ العلوم الطبيعية، ودراسة النباتات والحيوانات. برز العالم الغافقي في القرن الثاني عشر الميلادي في بلاد الاندلس في علم النبات، وفي هذه الفترة كتب ابن وحشيه اشهر الكتب العلمية العربية في الزراعة الموسوم: الفلاحة النبطية. وفي علم النبات لاحظ البيروني أن للزهور ٣ أو ٤ أو ٥ أو ٦ أو ٨ أوراق تويجية وليس ٧ أو ٩ أوراق تويجية أبدا.

وابدى العلماء المسلمون اهتماماً بعلوم الحيوان لاسيما ما يتعلق منها بالخيول. وتعد دراسات الجاحظ ابرز الاعمال العلمية العربية

والاسلامية في هذا المجال. وفي دراسات الجاحظ للحيوان اسهب في تصنيف الحيوانات الى فصائل برية وبحرية وجوية، وحدد اعمار الحيوانات ووسائل دفاعها وتصارعها مع الحيوانات الأخر. ويؤكد الجاحظ على التكامل بين اجزاء الحيوان، فالاجزاء متكاملة ومتممة بعضها بعضاً. ترك الجاحظ اثارا علمية كثيرة ابرزها: كتاب الحيوان الذي يقع في اربعة مجلدات.

الهندسة والتقانة

كان للعرب والمسلمين انجازات تقنية كثيرة منها: بناء الدواليب المائية ومنظومات الري وصناعات الورق والزجاج والعطور والسكر. وصناعة السيوف الدمشقية الشهيرة التي تطلبت معرفة علمية متقدمة في علم المعادن وغيرها.و اهتم العلماء العرب والمسلمون بالمعادن، اذ تم تحضير بعض هذه المواد اول مرة من العالم ابن سينا، كما ورد ذلك بكتابه الموسوم: كتاب الشفاء، ودرس العالم المسعودي التاريخ الطبيعي والتاريخ البشري، ودرس العالم البيروني تاريخ الهند الطبيعي وجغرافية الهند، وله دراسات متميزة في علم المعادن. وابدع العلماء العرب والمسلمون في العمارة التي تجمع بين العلوم والتقانة والفنون، وتدل الشواخص التاريخية على عظمة العمارة العربية والاسلامية التي منها: جامع قرطبة وقبة الصخرة في القدس وتاج محل في الهند وغيرها.

الفلسفة

برز في العالم الاسلامي فلاسفة عظام، وكما هو الحال في ارجاء العالم المختلفة فقد احتدم الجدل بين الفلسفة والدين والذي انصب

في معظمه حول طبيعة ووجود الله سبحانه وتعالى وشرعية الانبيـاء. وقد تأثر الكثير من الفلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانيـة فـي بـاديء الامر، فضلا عن مباديء الدين الاسلامي الحنيـف المتمثلـة بـالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. كان محور الجدل الدائر في حينـه فـي اوساط الفلاسفة هو الايمان مقابل العقل. وفي خضـم الصـراع بـين المعرفة الانسانية والمعرفة الايمانية يتساءل الفلاسفة، ايهما اوجب؟ فهم مسلمون اولا، وفلاسفة ثانياً. وقد قادهم ايمانهم الاسلامي الى حقيقة ان العقل وحده لايكفي لفهم الكنه الإلهي. حاول الفيلسوف الفارابي واخرون من الفلاسفة المسلمين ايجاد ربط الفلسفة بمفـاهيم الـدين الاسـلامي المتعلقة بوجود الخالق. ودافع الفيلسوف الغزالي عن الدين الاسـلامي بالاشارة الى محدودية العقل البشري وتناقضاته، واستجاب الفيلسـوف ابن رشد الى افكار الغزالي بالطلب من الفلاسفة استخدام العقل للوصول الى فهم صحيح للحقيقة بصرف النظر عن المعتقدات. وقد كان الصراع بين الفلسفة والدين الموضوع الرئيس في الجدل العلمـي الـدائر فـي القرون الوسطى في العالم الاسلامي. وقد حظـي الفلاسـفة والعلمـاء برعاية خاصة من الخلفاء المسلمين في معظـم العصـور الاسـلامية لاسيما في زمن الخلافة العباسية.

الجغرافية

اهتم العلماء العرب والمسلمون بعلم الارض وذلك لتقدير حجم الارض، اذ رسموا خريطة كبيرة للعـالم. والـف العـالم الرياضـي الخوارزمي كتابه الموسوم: وجه الارض، وقد تضـمن هـذا الكتـاب مراجعة لجغرافية بطليموس، وضم خرائط كثيرة. يعد الخوارزمي اول

من وضع الاسس العلمية لعلم الجغرافية من العرب والمسلمين في القرن التاسع عشر الميلادي، اذ درس جغرافية العالم المعروف حينذاك، مقسماً العالم الى سبعة مناطق، ودراسة كل منطقة جغرافياً ومناخياً. ورسم العلماء المسلمون خرائط ذات مواصفات علمية دقيقة، مثل تحديد منبع نهر النيل الذي لم يعرف من الاوربين الا في وقت متأخر جداً. ومن علماء الجغرافية البارزين العالم ابو عبدالله الادريسي وكتابه المشهور الموسوم: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،وسمي بكتاب الروجري،لأنه الفه بطلب من روجر الثاني. انجز الادريسي خرائط تعد اعظم انجازات العلماء العرب والمسلمين الجغرافية. وبفضل الخرائط العربية والاسلامية تمكن ماجلان من عبور رأس الرجاء الصالح الى المحيط الهندي، واستفاد كولومبوس من المعلومات العلمية الجغرافية العربية والاسلامية باكتشاف قارة امريكا.

التعليم

نشأت الجامعات لاول مرة في التأريخ في وادي الرافدين ووادي النيل وذلك بإنشاء جامعة طيبة، ثم جامعة الإسكندرية حتى الفتح الإسلامي، إذ أنشئت جامعة إنطاكية وجامعة حران في سوريا. وبعد ازدهار الحضارة العربية الإسلامية أنشئ بيت الحكمة والجامعة المستنصرية في زمن العباسيين وجامعة الأزهر في زمن الفاطميين. وتعد جامعة القرويين في مدينة فاس في المغرب احد اقدم الجامعات في العالم اذ يبلغ عمرها اكثر من احد عشر قرناً.وبذلك نرى ان الجامعات العربية والأسلامية اقدم من الجامعات الأوربية كثيرا ،إذ لم تنشأ جامعات بولكنا في ايطاليا وباريس في فرنسا وأكسفورد في بريطانيا

وهي أقدم الجامعات الأوربية إلا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد.

وقد انتقلت تقاليد التعليم من الاندلس الى اوربا عبر العلماء المسلمين والنصارى واليهود الذين ابدعوا في العلوم المختلفة في كنف الحضارة العربية والاسلامية، وترجمت اعمالهم فيما بعد الى اللغة اللاتينية، وبعدها الى الكثير من اللغات الاوربية، ولعبت مدينة طليطلة الاندلسية دوراً بارزاً في هذا المجال. ونقلت الى اوربا الكثير من تقاليد التعليم الاسلامية، منها على سبيل المثال مصطلح استاذ كرسي المتداول حتى يومنا هذا في الكثير من الجامعات الاوربية، الذي هو مأخوذ من التعبير نفسه المستخدم في الجامعات الاسلامية حينذاك. لقد تأثرت الحضارة الاوربية وما بات يعرف بالحضارة الغربية تأثراً عظيماً بالحضارة العربية والاسلامية في عصورها الذهبية المختلفة.

العلماء العرب والمسلمون

انتشر الدين الاسلامي الحنيف في ارجاء العالم المختلفة من اسبانيا الى الصين منذ العام ٧٥٠ ميلادية، وبانتشار الاسلام انتشرت العلوم المختلفة وتحققت الكثير من المنجزات العلمية في فروع المعرفة المختلفة، وبرز علماء مسلمون كثيرون مثل البيروني والخوارزمي والادريسي والكندي وابن سينا والرازي وابن خلدون والخازن وابن الهيثم والفارابي والغزالي وابن رشد والخيام وغيرهم الكثيرون. وبرز علماء اخرون من غير المسلمين مثل اسحق بن حنين وحنين بن اسحق من النصارى، وثابت بن قرة من الصابئة، والعالم الفلكي حصقيل شابرت وابن ميمون من اليهود الاسبان.

ويدل هذا بوضوح على مدى التسامح الكبير الذي ابداه المسلمون تجاه الاخرين ممن هم على ديانات اخرى. والتسامح الديني هذا لم يقتصر على الاديان فقط بل يشمل القوميات المختلفة التي انضوت تحت لواء الاسلام، لذا نجد ان العلماء المسلمين ينتمون الى قوميات مختلفة من العرب والفرس والكرد والبربر والترك وغيرهم.

نتناول في هذا البند الاثار العلمية البارزة لأبرز العلماء العرب والمسلمين والتي كان لها اثراً واضحا في تقدم العلوم والمعرفة الانسانية. فضلا عن اثارها الجلية في النهضة العلمية الاوربية في العصور الوسطى، والتي حظيت اثارهم باهتمام بالغ من العلماء والباحثين الأوربيين، اذ قاموا بترجمتها الى اللغة اللاتينية، وبعدها الى اللغات الاوربية المختلفة، وتدريس الكثير منها في جامعاتهم قروناً طوال.

الجاحظ

ولد ابو عثمان بن بحر الجاحظ في مدينة البصرة سنة ٧٧٦م التي فيها نشأ وتعلم على ايدي اشهر ادبائها وعلمائها ومفكريها. انتقل الجاحظ من البصرة الى بغداد عندما انتقل اليها المأمون من مرو ببلاد فارس. وتوفي الجاحظ سنة ٨٦٩م. اشتهر الجاحظ في عدة علوم وفنون واداب، ابرزها علم الحيوان والنبات والادب وعلم الاجتماع والفلسفة والمنطق وعلم الكلام والدين. اهتم الجاحظ بدراسة اثر البيئة الطبيعية في حياة الانسان والحيوان وتميز في الربط العلمي بين واقع البيئة الطبيعية والاجتماعية وسلوك الانسان وعلاقاته الاجتماعية والانسانية مع الاخرين. وفي دراسات الجاحظ للحيوان اسهب في تصنيف

الحيوانات الى فصائل برية وبحرية وجوية، وحدد اعمـار الحيوانـات ووسائل دفاعها وتصارعها مع الحيوانات الاخرى. ويؤكد الجاحظ على التكامل بين اجزاء الحيوان، فالاجزاء متكاملة ومتممة بعضها بعضـاً. ويشير الجاحظ الى اثر البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الحيوان في شكله ولونه وطبيعة حركته وعلاقته مع فصيلته الحيوانية وطباعه وعاداتـه وطبيعة عيشه. قارن الجاحظ بين الحيوان والانسان من جهـة، وبـين الحيوان والمجتمع البشري من جهة اخرى. ويؤكد الجاحظ في دراساته ان للبيئة تأثيرات مختلفة على الانسان والحيوان على السـواء تختلـف باختلاف الظروف الجغرافية والحقب الزمنية التي يعيشها الانسـان او الحيوان. اعتمد الجاحظ منهج الملاحظة في دراسته للظواهر الاجتماعية والطبيعية التي اراد فهمها واستيعاب مضامينها، كما اسـتعمل المـنهج المقارن في الكثير من دراساته. ترك الجاحظ اثارا علمية كثيرة ابرزها: كتاب الحيوان الذي يقع في اربعة مجلدات، والبيان والتبيين الذي يقـع في اربعة مجلدات ايضاً، وكتاب البخلاء وغيرها.

جابر بن حيان

يعد العالم ابو موسى بن حيان اشهر العلماء العرب المسـلمين في الكيمياء. الف الكثير من الكتب العلمية التي ترجمـت الـى اللغـة اللاتينية، منها كتب الميزان والرحمة والتركيز والاحجار والدرة المكنونة والخالص والقمر الأكبر والشمس الأكبر والتركيب والاسرار والأرض والزئبق والخواص والتصريف وخواص اكسـير الـذهب والأصـول والسموم والحديد وغيرها. وقد تناولت كتبه بحوث ودراسات كيميائية في مواضيع عديدة في المعادن، ابرزهـا النظريـة المسـماة نظريـة

الكبريت والزئبق التي مفادها ان المعادن الستة تختلف اساساً بنسب الكبريت والزئبق في كل منها. كما اهتم جابر بتطبيقات كيميائية مختلفة مثل تنقية الحديد وصبغ الملابس والجلود وطلاء الحديد واستخدام كبريتوز الحديد للكتابة على الذهب وتنقية الخل لتركيز حموضة الحامض. ويعد جابر بن حيان اعظم علماء الكيمياء في القرون الوسطى حتى القرن الثامن عشر دون منازع. ومما يؤسف له ان بعض كتبه الاصلية باللغة العربية قد فقدت من المكتبات، ولايتوفر منها حاليا الا النصوص المترجمة الى اللغة اللاتينية. وهناك بعض كتبه التي لم تترجم الى اللغة اللاتينبة مثل كتابه الموسوم: كتاب السبعين، وكتابه الموسوم الميزان.وتشير الدراسات الى ان اوربا لم تعرف علم الكيمياء قبل ترجمة كتب الكيمياء العربية الى اللغة اللاتينية، اذ ترجم Robert of Chester في العام ١١٤٤م اول كتاب في الكيمياء من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية.

ولم يقف جابر عند الاراء النظرية فقط كما فعلت الأمم الأُخر وانما دخل المختبر واجرى التجارب وربط الملاحظات على أسس علمية وهي الأسس التي بني عليها العلم الحديث منجزاته في هذا الميدان وفي غيره من الميادين العلمية الأُخر.

حنين بن اسحق

ولد العالم حنين بن اسحق بن سليمان بن ايوب العبادي في مدينة الحيرة سنة ٨١٠ م وتوفي عام ٨٧٣ م، وكان ابوه اسحق عربياً نصرانياً نسطورياً. فنشأ ابنه حنين على ذلك، وكان اسحق صيدلانياً، فأعد ابنه لدراسة الطب، ينسب حنين الى العباد، والعباد قبائل من بطون

العرب. يعد حنين بن اسحق ابرز العلماء الذين شاركوا في ترجمة الكتب الاغريقية الى اللغة العربية زمن الخليفة العباسي المامون الذي عهد اليه ان يتولى رئاسة بيت الحكمة، والى جانب الترجمة برع حنين في الطب. ويعد حنين من اقدم الاطباء العرب ممن كتبوا في امراض العيون، اذ يعد كتابه الموسوم: العشر مقالات في العين اول كتاب طبي يبحث في العين بأسلوب علمي دقيق .

وتجمع اغلب المصادر والمراجع العلمية على ان حنين كان امام وقته في الطب، وان مؤلفاته الطبية هي من افضل الكتب. ولشهرته الواسعة في مجال الطب فقد اختاره الخليفة العباسي المتوكل على الله طبيباً خاصاً له.

ثابت بن قرة

ولد العالم ابو الحسن ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن ابراهيم بن مارينوس بن سالامويوس في مدينة حران سنة ٨٣٦ م وكان صابئياً. نبغ ثابت في علوم الطب والرياضيات والفلسفة والفلك، درس العالم ثابت بن قرة المنحنيات مثل منحنيات القطع المكافئ والقطع الناقص، كما ساهم بتطوير مفاهيم الرياضيات في التفاضل والتكامل. وكان موضع تكريم ورعاية الخلفاء العباسيين لاسيما المعتمد والمعتضد، وتوفى سنة ٩٠٠م.

ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي

ولد العالم ابو جعفر الخوارزمي في بغداد سنة ٧٨٠ م وتوفي سنة ٨٥٠ م. اشتغل الخوارزمي في بيت الحكمة ببغداد زمن

الخليفة العباسي المأمون مع ابناء موسى. كانت مهامهم في بداية الأمر ترجمة النتاج العلمي الأغريقي الى اللغة العربيـــة، وكـــذلك الدراســة والتأليف فـــي علوم الجبر والهندسة والفلك. ألف الخـــوارزمي كتابــه الموســــــوم: "حساب الجبـــر والمقابلة" الذي يعد أهم وأشـــهر كتبــه. وألف كتابه الثاني الموســـــــوم: "الأرقام الهندسية العربية"، ويعــزي اليه استخدام الرقم صفر ضمن منظومة الأرقام. وأنجــز الخـــوارزمي دراسات كثيرة في علم الفلك تضمنت حساب الموقع الحقيقية للشـــمس والقمر وكواكب اخرى، وجداول الجيب والظـــل والجـــداول الفلكيـــة والمثلثات الكروية وحسابات الكسوف والخسوف ورؤية الهلال. وانجز الخوارزمي دراسات هامة في الجغرافية تمكن مـــن خلالهـــا حســـاب خطوط العرض والطول لأكثر من ٢٤٠٢ موقع مدن وجبـــال وبحـــار وجزر وانهار ومناطق جغرافية مختفة وذلك كأساس لخريطة العـــالم. وكتب الخوارزمي في مواضيع علمية اخرى مثل دراساته المتعلقة بألة الإسطرلاب والساعة الشمسية والتقويم العبري، كمـــا كتـــب التـــاريخ السياسي متضمناً ابراج الأشخاص المهمين في ذلك الزمان.

البتاني

ولـــد العالم الصابئي ابو عبد الله محمد بن جابر بـــن ســـنام البتاني سنة ٨٥٠م في مدينة حران وتوفي سنة ٩٢٩م. ويعـــد البتـــاني أعظم علماء الفلك في عصره، له دراسات فلكية كثيرة، منها تعليقاتـــه المهمة على اعمال بطليموس، الاّ ان أهم اعماله: بحثه الفلكي وجداوله الذي كان مؤثراً حتى عصر النهضة الاوربية. بنـــى البتاني مرصـــداً فلكياً وقام ببحوث عديدة، اكتشف من خلالها حركة المجموعة الشمسية

والتغيير البطيء في معادلة الزمن، وايجـاد المعاملات الفلكيـة بدقـة كبيرة. حدد البتاني بدقة عظيمة ميل فلك البروج وطول السنة الشمسية واثبت تغير قطر الزاوية الظاهرى للشمس واحتمال حـدوث الكسـور الحلقي. كما صحح حركات كثيرة للقمر والكواكب، وتمكن من ايجـاد نظرية جديدة لتحديد شروط رؤوية القمر الوليد، ومن مؤلفاتـه كتـاب الزيج وكتاب معرفة مطالع البروج. واهتم البتاني بعلم المثلثات، إذ انه اوجد ما يعرف في المثلثات دوال الظل والظل تمام، وعرف العلاقة بين الأضلاع والزوايا في المثلثات الكرويـة.

ابن الهيثم

ولـد ابو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم في البصرة سـنة ٩٦٥ م وتوفي في القاهرة سنة ١٠٢٠م. ويعد ابن الهيثم أشهر العلماء المسلمين في الفيزياء واعظمهم في البصريات. واشتهر ابن الهيثم فـي الفلك والرياضيات. الف قرابة ٧٠ مؤلفاً. برع ابن الهيثم فـي بحـوث المرايا الكروية والعدسات والأنكسارات الجوية وألف كتباً كثيرة منهـا كتاب في حساب المعاملات، وكتاب علل في الحساب الهندي وكتـاب حساب الخطأين، وكتاب حل شكوك من اقليدس، وكتاب الجـامع فـي اصول الحساب. وقد ترجمت كتبه وبحوثه الى اللغة اللاتينيـة.

الرازي

ولـد العالم ابو بكر محمد ابن زكريا الرازي في اقليم الـري في بلاد فارس عام ٨٦٥ م، وتوفى في العـام ٩٢٣. انجـز الـرازي بحوث ودراسات في الطب والكيمياء والفيزياء. افاد الرازي كثيراً مـن

معلوماته الكيميائية في دراساته وبحوثه الطبية. ألف كتباً كثيرة منها الكتاب الموسوم: "الحاوي" الذي يعد ابرز اعماله، وكتابه الموسوم: "المنصوري"، وكتابه الموسوم: "الجدري والحصبة"، فضلاً عن دراساته في تخصصات طبية عديدة مثل النسائية والتوليد وغيرها. واجرى بحوث كثيرة في الفيزياء، ومنها ما يتعلق بالوزن النوعي بواسطة الموازنة الهايدروليكية. حاول الرازي ان يكتب موسوعة طبية باسم الجامع الكبير معتمدا على المادة العلمية التي توافرت في خزانته الخاصة، وقد تمكن الرازي من انجاز تاليف اثني عشر جزءا من هذه الموسوعة، ثم عجز وتوفى قبل ان ينتهي من تاليف بقية اجزائها. وللرازي كتب اخرى هامة منها: كتاب الادوية الموجودة، وكتاب الطب الروحاني، وكتاب التقييم والتشجير. ويعد الرازي اعظم الاطباء المسلمين، واحد اعظم اطباء القرون الوسطى. ترجمت اعماله الى اللغة اللاتينية.

الكندي

يعد الكندي عالماً موسوعياً، اشتهر ابو يوسف يعقوب ابن اسحق ابن الصباح الكندي بعلمه الغزير في بداية القرن التاسع في بغداد زمن الخليفة العباسي المأمون، ومن بعده الخليفة العباسي المعتصم، ولد في البصرة في اوائل القرن التاسع وتوفي في العام ٨٧٣. كان الكندي فيلسوفاً فذاً، درس فلسفة ارسطو من وجهة نظر الفلسفة الأفلاطونية المحدثة. درس الكندي علوم الفلك والرياضيات والفيزياء والطب والصيدلة والجغرافية وترك اثاراً علمية مميزة.

كما اشرف على ترجمة الكثير من الكتب العلمية من اللغة

الأغريقية الى اللغة العربية. ولعل ابرز اعماله دراساته في البصريات الهندسية والفيزيائية التي كان لها اثراً كبيراً على علماء النهضة الأوربية مثل: Witelo & Roger Bacon وغيرهم. وكان الكندي من اوائل العلماء المسلمين الذي كتبوا في الموسيقى. ترجمت اعمال الكندي الى اللغة اللاتينية واعتمدت مراجع علمية قروناً طويلة في مراكز البحوث والدراسات في اوربا.

ابن سينا

ولد ابو علي الحسن بن عبد الله بن سينا في بخارى عام ٩٨٠ م. ويعد ابن سينا الأكثر شهرة وتأثيراً من العلماء والفلاسفة المسلمين في العالم. توفى ابن سينا عام ١٠٣٧ ودفن في همدان. كان لأبن سينا انجازات علمية هامة في الفلسفة والرياضيات والكيمياء والفلك. وقد جمع كتابه الشهير الموسوم: "كتاب الشفاء بين الفلسفة الأغريقية والمفاهيم الأسلامية" بتقسيم المعرفة الى معرفة نظرية مثل الفيزياء والرياضيات ومعرفة عملية مثل الأخلاق والسياسة والأقتصاد. اما أعظم انجازاته حقاً، كانت في الطب، ويعد كتابه الشهير الموسوم: "القانون في الطب" أحد أهم المراجع العلمية التي درست في الجامعات الاوربية اكثر من ٦٠٠ سنة. ومن أهم اسهامات "كتاب القانون" تشخيصه أن مرض السل من الأمراض المعدية التي يمكن انتقاله بواسطة الماء والتربة، وأن حالة الشخص النفسية يمكن أن تؤثر على حالته الصحية. كان ابن سينا اول من وصف التهاب السحايا واجزاء العين وصمامات القلب، ووجد أن الأعصاب مسؤولة عن الشعور بألم العضلات. ساهم بتطوير علوم التشريح والنسائية والأطفال. ترجم كتاب القانون الى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر واصبح المرجع

الأساس في كليات الطب الأوربية حتى القرن السابع عشر. عندما طبع كتابه القانون في روما عام ١٥٩٣، اصبح اول كتاب عربـــي يطبـــع بوسائل الطباعة الحديثة. قامت كلية الطب بجامعـــة بـــاريس بوضـــع صورة ابن سينا في مدخلها الرئيس وذلك تقديرا لمكانته العلمية.

البيروني

ولد العالم ابو الريحان البيروني في خوارزم سنة ٩٧٣م ، يعد البيروني احد ابرز العلماء المسلمين في علوم الفلـــك. درس البيرونـــي ظاهرة الكسوف والخسوف وتوصل الى ان سرعة الضوء اكبـــر مـــن سرعة الصوت وتقبل فكرة ان الارض تدور حـــول محـــور قبـــل أي شخص اخر. وفي الجغرافية تمكن من حساب خطوط العرض والطول لمواقع كثيرة بصورة صحيحة. ورفض فكرة أن أفريقيـــا تمتـــد إلـــى الجنوب بصورة لانهائية، بل أصر على إنها محاطة بالميـــاه وتوصـــل البيروني إلى نظرية لحساب اتجاه القبلة من أي مكان في العالم. وفـــي الفيزياء توصل البيروني إلى حساب كثافة ١٨ حجرا كريما أو معـــدنا. وفي علم النبات لاحـــظ أن للزهـــور ٣ أو ٤ أو ٥ أو ٦ أو ٨ أوراق تويجية وليس ٧ أو ٩ أوراق تويجية أبدا. والبيروني أول من أوجد علم المثلثات.

ألف البيروني كتباً علمية كثيرة الموســـومة: تحديـــد نهايـــات الأماكن وهو من الكتب المهمة في علم الفلك والتي تعنـــى بأســـتخراج عرض المكان ومعرفة حجم الأرض وتعيين اطوال البلـــدان ، وكتابـــه الموسوم : الجماهر في معرفة الجواهر ، وهذا الكتـــاب يبحـــث فـــي موضوع الكيمياء والمعادن ، وكتابه الموسوم : العقاقير الذي يتضـــمن

وصفاً شاملا لخصائص ومنافع ألف عقار مستخرج من النباتات والاعشاب والحيونات والمعادن .ويعد كتابه الموسوم التفهيم لأوائل صناعة التنجيم اهم مساهمة للبيروني في علم الفلك. وخلاصة القول ان البيروني كان أعظم علماء عصره.

الغزالي

ولد أبو حامد الغزالي في خراسان عام ١٠٥٨م. درس العلوم الإسلامية في معاهد نيسابور وبغداد، وأصبح أستاذ العلوم الدينية والفلسفية في الجامعة النظامية ببغداد. وفي العام ١٠٩٥م ترك الغزالي الجامعة وترك عالم المادة وأصبح صوفيا، تجول في أرجاء العالم الإسلامي حيث زار مكة المكرمة وسوريا والقدس.واستقر بعدها في نيسابور ليتفرغ للكتابة في العلاقة بين الفلسفة والدين. لقد دافع الغزالي عن الدين الإسلامي ضد هجوم بعض الفلاسفة, إذ ألف عدة كتب في هذا المجال. ويعد كتابه الموسوم: تحفة الفلسفة اشهر كتبه. ويعد الغزالي احد اعظم الفلاسفة المسلمين وقد تاثر بارائه الفلسفية الكثير من الباحثين والعلماء اليهود والنصارى.

ابن رشد

ولد ابو الوليد محمد ابن احمد ابن محمد ابن رشد في قرطبة سنة ١١٢٦م. وكان واحدا من اعظم المفكرين والعلماء في القرن الثاني عشر الميلادي. ترجمت اعمال ابن رشد الى اللغات اللاتينية والانكليزية والالمانية والعبرية، وفضلا عن اعمال ابن رشد الفلسفية، فقد كانت له اسهامات مميزة في الطب والفلك، فكتابه الشهير في الطب الموسوم: كتاب الكليات في الطب يناقش تشخيصات كثيرة ومعالجات

امراض عديدة، فضلا عن تحديد الوقاية منها وفي علم الفلك كتب ابن رشد في حركة الكرات لكن اعظم انجازاته كانت في الفلسفة اذ اثرت اعماله كثيرا على طلاب المعرفة والفلاسفة الاوربين حتى القرن السادس عشر ودرست كتبه في الجامعات الاوربية حتى القرن التاسع عشر.

عمر الخيام

ولد العالم غياث الدين ابو الفتح عمر ابراهيم الخيام سنة ١٠٤٤ في نيسابور. والخيام عالم اسلامي برع في الرياضيات وعلم الفلك والفلسفة والشعر. قضى معظم وقته في المراكز العلمية في سمرقند وبخارى. تعد اعماله في علم الجبر وعلم الفلك ابرز اعماله. كان تصنيفه للمعادلات الجبرية اساس تقدم الجبر كعلم كما هو حال اعماله في نظريته الخطوط المتوازية في الهندسة. وفي علم الفلك كان التقويم الشمسي المضبوط اعظم اعماله. وهو تقويم اكثر دقة من التقويم Gregorian المتداول حاليا في معظم ارجاء العالم فالخطأ في تقويم الخيام هو يوم واحد في كل ٣٣٣٠ سنة مقابل خطأ يوم واحد في كل ٣٣٣٠ سنة في التقويم Gregorian. قاس الخيام طول السنة ٣٦٥,٢٤٢١٩٨٥٨١٥٦ يوم وهو قياس مضبوط جدا، اذ وجد ان الرقم في المرتبة العشرية السادسة يتغير بحدود معدل حياة الانسان، ولغرض المقارنة كان طول السنة في القرن التاسع عشر ٣٦٥,٢٤٢١٩٦ مقابل طولها الان ٣٦٥,٢٤٢١٩٠. اشتهر الخيام كشاعر على حساب انجازاته العلمية.

ابن النفيس

ولد علاء الدين ابو الحسن علي بن ابو الحزم القريشي الدمشقي المصري سنة ١٢١٣ في دمشق وتوفي في مصر سنة ١٢٨٨م. اشتهر ابن النفيس باكتشافه الدورة الدموية الصغرى، كما وصف الدورة الدموية لعضلة القلب المعروفة بالشرايين التاجية. وبين ان تغذية القلب تتم من الدم الذي يجري من خلال الاوعية التي تغطي القلب. ولم تقدر اعمال ابن النفيس بتشريح القلب والدورة الدموية الاّ في القرن العشرين الميلادي. الف ابن النفيس كتباً عديدة، اشهرها الكتاب الموسوم: موجز القانون.

الفارابي

درس ابو الناصر الفارابي في بغداد وعد في حينه اعظم فلاسفة عصره منذ ارسطو طاليس. يجيد الفارابي لغات عديدة، ومن خلال تراجمه للاعمال الاغريقية القديمة يعد اول الفلاسفة المسلمين الذين نقلوا الفلسفة الاغريقية الى العالم الاسلامي. الف الكثير من الكتب في المنطق وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والموسيقى، الا ان ابرزها كان في الفلسفة. عمل الفارابي على تآلف فلسفة ارسطو وفلسفة فلاطون مع الفكر الاسلامي. وكان اول فيلسوف اسلامي فصل الفلسفة عن الدين، مؤثراً بذلك على اتباع الديانات الاخرى. يدعي الفارابي ان الفلسفة تستند الى المفاهيم الفكرية، بينما يستند الدين الى الخيال، لذا اعتقد ان الفلاسفة هم افضل من يحكموا بلدانهم. لقد اثرت اعمال الفارابي على الفلاسفة المسلمين الاخرين الذين خلفوه مثل ابن سينا

وابن رشد وكانت افكاره مثار جدل واسع بين الفلاسفة ورجال الدين في العالم الاسلامي.

ابن خلدون

ولد العالم ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلـــدون ولي الدين التونسي الحضرمي الاشبيلي المالكي الملقب بابن خلدون في تونس عام ١٣٣٢م، وتوفي في القاهرة عام ١٤٠٦م. كان ابن خلـــدون شخصية علمية فذة، الا انه لم ينتبه اليه العلماء والمفكرون الاوربيـــون الا بعد اربعة او خمسة قرون من وفاته. تكمن عبقرية ابن خلدون فـــي التفسير الصحيح للظواهر التاريخية، ودراسة قوانين النمو والانحطـــاط الخاصة بالجماعات والمجتمعات. ويعد ابن خلدون من مؤسســـي علـــم الاجتماع الذي سماه بعلم العمران البشري وعلم وفلسفة التاريخ. اكتشف ابن خلدون علم الاجتماع وحدد مضامينه وابعاده ومنهجيته وشـــخص طبيعته وعلاقته بالعلوم الطبيعية، ووضح اهميته لفهم طبيعـــة البشـــر واستيعاب عناصر المجتمع والحضارة خـــلال القـــرن الرابـــع عشـــر الميلادي. واكتشف ابن خلدون فلسفة التاريخ قبل غيره من المفكـــرين والعلماء، وانتقلت ابحاثه ودراساته الى اوربا عن طريـــق اســـبانيا. ان اول من اهتم بدراسة ابن خلدون في اوربا المفكر الالماني فون هـــامر الذي الف كتابا عن اضمحلال الحضارة العربية الاسلامية ونشره عـــام ١٨١٢. واشاد فون هامر بهذا الكتاب بابن خلدون وبمؤلفاته خصوصا كتاب المقدمة واعترف باصالة بحوثه ودراساته العلمية. واشاد علمـــاء ومفكرون اوربيون كثيرون فيما بعد بدراسات وبحوث ابن خلدون وما قدموه من اضافات علمية ساهمت باثراء المعرفة الانسانية عامة وعلـــم

الاجتماع وفلسفة التاريخ خاصة. يعد ابن خلدون احد اهم علماء الاجتماع الذين امنوا بحتمية تغير المجتمع من نمط الى اخر، فالمجتمع في منظوره كائن حي يولد وينمو ويتكامل ويضعف ويموت كما بين ذلك جليا في كتابه الشهير الموسوم: المقدمة. ودرس ابن خلدون المجتمع دراسة تاريخية متباينة وكل مرحلة حضارية متصلة بالمرحلة الحضارية التي سبقتها، ودراسة كهذه تقود الى موضوع فلسفة التاريخ الذي برز فيه ابن خلدون قبل غيره من مفكري وفلاسفة العالم. ان نظام الفلسفة التاريخية الذي اعتمده ابن خلدون في دراسة المجتمع كان ينطوي على فكرة تقسيم المجتمعات في العالم الى انواع مختلفة تبعاً لدرجة تقدمها الحضاري والمادي. ان فلسفة ابن خلدون التاريخية وتطبيقها على مسيرة المجتمعات البشرية لعبت الدور القيادي في فهم واستيعاب طبيعة المراحل التطويرية التي تمر بها المجتمعات.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة ابرز النتاجات العلمية للعلماء العرب والمسلمين والتي تعد مفخرة انسانية رائعة، اذ انها انارت مسيرة الحضارة الانسانية في وقت كانت شعوب اوربا وارجاء واسعة من العالم تغط في سبات عميق، فللعلماء العرب والمسلمين الفضل ليس في الحفاظ على التراث العلمي الانساني حسب، بل تطويره وانمائه واثرائه في تخصصات علمية كثيرة بصورة اصيلة ومبدعة وبدرجة اتقان عالية ومبتكرة في اطار مدارس بحثية وفكرية متنورة. وكان النتاج العلمي العربي والانساني اساس نهضة اوربا وتقدمها العلمي، فحري بنا ان نغذ السير لأمتلاك ناصية العلم لتتبوء امتنا العربية والاسلامية مكانتها العلمية والحضارة بين امم الارض وشعوبها.

المراجع العلمية

١. الجاحظ، الحيوان، الجزء الرابع.
تحقيق وشرح عبدالسلام هارون
مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧١.

٢. الجاحظ، البيان والتبيين.
تحقيق وشرح عبدالسلام هارون
مطبعة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥.

٣. الجاحظ، البخلاء.
تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

٤. أ.د. احسان محمد الحسن
موسوعة علم الاجتماع
الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩.

٥. أ.د. احسان محمد الحسن
رواد علم الاجتماع العربي والاسلامي ،بغداد، ٢٠٠٥م.

٦. الدكتور نشأة حمارنة
الرازي كحالاً
المجلة العربية لبحوث التعليم العالي العدد الثاني ، ١٩٨٤ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

٧. ستار عبد الحسين الفتلاوي
موسوعة السريان الثقافية في المائة الثالثة الهجرية (حنين بـــن اســـحق العبادي)
مجلة المجمع العلمي السريانية، المجلد الحادي والعشرين، ٢٠٠٥م.

٨. الدكتور حسين امين
البيروني عالم اسهم في تقديم العلوم
اسبوع العلم الرابع عشر/ الكتاب الاول، المجلـــس الاعلـــى للعلـــوم/ دمشق، ١٩٧٤

٩. حكمت نجيب عبد الرحمن
دراسات في تاريخ العلوم عند العرب جامعة الموصل، ١٩٧٧م.

١٠. Islamic Science and Engineering
Edinburg: Edinburg press, ١٩٩٣

١١. Hasan Ahmed Yusuf, and Donald R.Hill Islamic Technology
Cambridge University press.
Paris: Unesco, ١٩٨٦

١٢. The Different Aspects of Islamic Culture-Science and Technology in Islam, Vol.IV, partII, ed

A-Y. al-Ha.ssan et al., UNESCO,٢٠٠٢

١٣. Internet Islamic History Sourcebook
http://www.fordhow.edu/halsall/islam/islambook.htm/

١٤. George Sarton
Introduction to the History of Science
vol. - III, Willians and Wilkins, Baltimore, ١٩٢٧
٣١،١٩٥٠

١٥. T. Arnold and A.Guillaume
The Legacy of Islam
Oxford University press. ١٩٣١

١٦. De Lacy Oleary
Arabic Though in History.

١٧.http://www-istory.mcs.st.andrews.ac.uk/Mathematicians

١٨. Foundation of Science, Technology, and Civilisation.
Info@fstc.co.uk

١٩. Al-Mujaz fi Al-Tibb,Ibn-Al-Nafis, Eideted by Dr. Ahmed, Al-Ahram press, Cairo, ١٩٨٦

٢٠. Abel, Don-Al-Jahedh Asaphilosopher
west Point Press, London ١٩٧٣.

إشكالية التجديـد الشعـري
ـ وجهة نظر ـ

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي
رئيس دائرة علوم اللغة العربية

الملخص

يعرض هذا البحث لما يتردد بين بعض الأدباء من إشكالية التجديد الشعري ، وهم في ذلك متأثرون بما يثار من كلام في الأوساط الأُخر ممن تختلف توجهاتهم عن سبيل الأدب .

لقد ظهر الشعر العربي قبل الإسلام ، وسار بخطى متزنة ، وعَبَّرَ عما يقبع في النفوس ، وصور مظاهر الحياة ، ووصل الى نهاية القرن العشرين وهو حافل بالمعاني والصور التي ولَّدتها قرائح الشعراء عَبْرَ السنين ، وبالأشكال التي تطورت من الشعر ذي القافية الموَّحدة ، إلى شعر التفعيلة ، وقصيدة النثر ، وشعر المسرح الذي أرسى أصوله احمد شوقي ومن جاء بعده كعزيز اباظة ، وصلاح عبد الصبور، وخالد الشواف ، ولم تثر حوله إشكاليات إلا في نفوس الذين لم يفقهوا غاية الشعر ومراميه .

سيستمر الشعر العربي في القرن الحادي والعشرين ، ولن يخرج كلَّ الخروج عن صورته العربية إلا إذا غَيَّرَ العرب ما بأنفسهم وهاموا في كل واد .

تتردد في الكتابات المتأخرة كلمة " إشكالية " ، فهناك إشـــكالية المصطلح " و " إشكالية النقد " و " إشكالية الأدب " و " إشكالية اللغـــة " ونحوها من الإشكاليات . وظن بعضهم أن " الإشكالية " هي المشـــكلة ، وليس الأمر كذلك ، وإنما هي " منظومة من العلاقات التي تنسجها داخل فكرٍ معين مشكلات عديدة مترابطة لا تتوفر إمكانية حلها مفــردة ، ولا تقبل الحل من الناحية النظرية إلا في إطار حل عام يشملها .

واليوم تطرح " إشكالية التجديد الشعري " فما المقصود ؟ أيـــراد المشكلة الواحدة أو المشكلات المتشابكة التي لا تحلّ إلا في إطار الحـــل الشامل ؟

لقد جدد الشعراء العرب ولم تكن أمامهم وأمام النقاد إشكاليات ، لأنهم نظروا إلى الشعر ونقده نظرة تنطلق من مفهوم الشعر فـــي تلـــك الأحايين ، وهي نظرة لا تثير إشكالية أو تعقيدا ، لأنها نظرة خاصـــة أو نظرة تمثل رأي فريق دون أخر .

إن الشعر إبداع مترابط الأجزاء ، ولكن القدماء نظروا إليه فـــي نقدهم نظرة جزئية ، أي عالجوا جزئيات القصيدة ولم يعالجوها بوصفها متلاحمة الأجزاء إلا ما ندّ من ملاحظات عامة عـــن ترابـــط أجـــزاء القصيدة حينما تعرضوا لافتتاحيتها والتخلص وحسن الختام ، وما أشـــار إليه ابن طبا طبا العلوي في " عيار الشعر " عند ذكره قصيدة الأعشـــى وتلاحمها لأنها اقتصاص خير أي حكاية . وما فعله أبو بكر البـــاقلاني في " إعجاز القرآن " عند تعرضه لمعلقـــة امـــرئ القيـــس ، ولاميـــة البحتري . وما قاله الحاتمي في " حلية المحاضرة " عن ترابط أجـــزاء القصيدة ، ووقف عنده عبد القاهر الجرجاني في " أســـرار البلاغـــة " و " دلائل الأعجاز" .

ولم تؤثر هذه الإشارات في توجيه النقد أو خلق إشكالية ، وسار

الشعراء في طريق الشعر ، فمنهم من جدد وأغرب في التجديد كأبي تمام ، ومنهم من ظل متمسكا بعمود الشعر القديم كالبحتري الذي كان تجديده ضمن إطار محدود . وثارت الخصومة بين القدماء والمحدثين ، وكان طابعها العام الحقد والحسد وان اتخذت الحداثة حجة وسبيلا . وهذا ما حدث في مطلع القرن العشرين حين انتقد عباس محمود العقاد شعر احمد شوقي في كتاب " الديوان " ولا سيما القصيدة التي رثى بها شوقي (مصطفى كامل) وقال : أنها كومة من الرمل .

لقد حصل تجديد في الشعر القديم ، وتولدت معان وصور جديدة تمثل العصر ، وحاول بعضهم ان يجدد في العروض كأبي العتاهية الذي كان يقول : " أنا أكبر من العروض " وظهرت المزدوجات ، والمسمطات ، والموشحات ، وعدّت ثورة في التجديد . وثارت الخصومات ، ولكنها هدأت ، وأصبح تجديد ابي نواس ، ومسلم ابن الوليد وأبي تمام ، وشعراء الأندلس سمة من سمات العصر الذي عاشوا فيه ، ولم يثر ذلك التجديد إشكالية ، لأن الشعراء والنقاد كانوا يعون معنى التجديد ، ويعرفون مسالكه ومناحيه بما لديهم من ثقافة واسعة ، ومعرفة بالتراث ، وتتبع المراحل التي مرّ بها الشعر العربي ، وإدراك الحلقات المترابطة التي تتسع للتجديد كلما ازدهرت الحضارة وظهر شاعر كبير .

(٢)

ورانت على الأمة العربية ظروف قاهرة ، ولم تظهر حركات تجديدية ، وعندما أطل القرن العشرين بدأت بوادر التجديد حين هبت رياح الشعر الغربي ووجدت بعض اتجاهاته بيئة خصبة ، فظهرت الرومانسية ، والسريالية ، والرمزية ، والدادية ، والبرناسية ، والتكعيبية ، والواقعية ، والاشتراكية ، والوجودية ، وتبنى الشعراء هذه الاتجاهات ودعوا إليها على الرغم من أنها ظهرت في أوربة ، ومثلت

مراحل مر بها الشعر هناك ، ثم اختفى بعضها ولم يعد له أثر في بيئته التي ظهر فيها .

كان معظم الشعراء العرب الذين ركبوا موجة الشعر الغربي مقلدين ، لأنهم لم يدركوا إدراكا عميقا مغزى تلك الاتجاهات عند أصحابها ، ولم يتمثلوا البيئة التي ظهرت فيها ودوافع ظهورها . ولم يبق إلا الاتجاه الوجداني الذي هو منزع إنساني عام ، وما نظمه الملتزمون بقضايا الأمة والوطن .

لقد كان لتلك الاتجاهات مناخ في الوطن العربي ، وحرية واسعة المدى ، ولم تكن هناك إشكالية ، وإنما كانت ميول شخصية أو عقائد فكرية وسياسية ، أثمرت نقاشاً أو حوارا أشتد حينا وهدأ حينا أخر .

وكان النقاش ينصب على الاتجاه الفكري أو السياسي وليس على بناء القصيدة في الأعم الغالب ، لأن الشعر في النصف الأول من القرن العشرين لم تتحطم أصوله العامة على الرغم مما فيه من تجديد في المعاني والصور والقوافي .

وتعد هذه الاتجاهات تجديدا في الشعر العربي الحديث ، وأبرز ما يتجلى في هذا التجديد الالتزام بوحدة القصيدة أو عضويتها ، فضلا عما انتفع به الشعراء الجدد من أصول الشعر الأجنبي انتفاعا تفاوت بين شاعر وأخر طبقا لثقافته ومعرفته اللغة الأجنبية أو اطلاعه على ما ترجم إلى العربية من تراث الأمم .

(٣)

كان خليل مطران من أوائل الداعين الى التجديد ، وكان تجديده متزنا ، وكان الشعراء العرب في المهجر الشمالي قد ثاروا على القديم ، وعلى رأسهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة الذي وصف لغة شعراء زمانه بنقيق الضفادع . وكانت أبرز ملامح تجديدهم التعبير عن

محيطهم الذي عاشوا فيه ، والدعوة الى التسامح والإخاء ، متأثرين بالماسونية التي ارتبط بها بعضهم ، وبما كان يشيع في المهجر من أفكار التناسخ ووحدة الوجود .

هذا من حيث الفكر أما من حيث بناء القصيدة أو هيكلها فأظهر ما يتجلى في تعدد قوافي القصيدة الواحدة ، ولا يعد هذا تجديدا ، وانما هو إحياء لنظام الموشحات وقصائد المتصوفة المسلمين وتراتيل الكنائس التي سمعها الشعراء قبل ان يغادروا أوطانهم . فضلا عن ان القدماء عرفوا تعدد القوافي في القصيدة إلا أنهم لم يستسيغوه ، ولم يلق استجابة من المعاصرين فأهملوا الشعر المرسل بعد ان وجدوا في شعر التفعيلة ما يغنى عن قصيدة الشطرين أو ذات المقاطع حيث تتعدد القوافي وتتغير في كل مقطع من مقاطعها .

وأثر شعراء المهجر في الشعر العربي ، واخذ الشعراء ينوعون قوافي القصيدة الواحدة ، وكان من دعاة ذلك جميل صدقي الزهاوي واحمد زكي أبو شادي ، وتبعهما شعراء ولا سيما الذين ارتبطوا بجماعة أبو لو ووجدوا في ذلك حرية في التعبير ، وكان لهذا التغير الذي حدث أثر في ظهور الشعر الحر الذي كان انسيابه وتدفقه والتئامه أوضح من قصائد الشطرين المتعددة القوافي التي لج في نظمها شعراء النصف الأول من القرن العشرين .

ومن مظاهر التجديد في المهجر الشمالي هو ما أطلق عليه أمين الريحاني اسم " الشعر المنثور " متأثراً بالشاعر الأمريكي Walt Whitman صاحب ديوان " أوراق العشب " leaves of grass ولكن هذا الشعر لم يثبت وجوده ، ومضى الشعراء يتلمسون بناء جديدا.

وعنى الشعراء بالقصة ووظفوها في القصيدة تحقيقا لأهداف أو أغراض أرادوا ان يعبروا عنها ، وهي غير ما سعى إليه القدماء كامرئ القيس ، وعمر بن أبي ربيعة وبعض شعراء العصر العباسي الذي كان

من أهداف القصائد عندهم سرد حادثة أو تاريخ ، من غير ان يتخذوها قناعا يخفون تحته ما يريدون .

ومن معالم التجديد التوجه نحو المسرح الشعري ، ومن أعلامه أحمد شوقي ، وعزيز أباظة ، وصلاح عبد الصبور ، وخالد الشواف ، وحظي هذا اللون باهتمام في حينه ومثلت عدة مسرحيات شعرية ، ولكن هذا الشعر لم يستمر لأن النثر اكثر تعبيرا عن الأحداث التي تجري على خشبة المسرح .

وشهد الشعر العربي في النصف الثاني من القرن العشرين ازدهارا ، وبدأ الشعر الحر يأخذ مكانة مرموقة ، واندفع في نظمه كثير ممن لا يملك موهبة شعرية ولغة سليمة وثقافة واسعة وذوقاً رفيعاً ، كما امتلكها رواده : نازك الملائكة ، وبدر شاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتي .

وظن بعضهم ان التجديد هو تحطيم البيت الشعري ، والتنوع في القوافي او التحرر منها كل التحرر ، وجهلوا او تجاهلوا ان التجديد يكون في اللغة والصور والقضايا التي تهم العربي المعاصر ، وهو يصارع الحياة ، ويعيش في عالم متغير .

واشتد الصراع بين الشعراء والنقاد ، ولم تمض سنوات حتى هدأت العاصفة ، من غير ان يولد ذلك الصراع إشكالية بعد أن قبل الذوق العام الشعر الجديد .

وكانت الظروف التي مر بها العرب صعبة ، فهناك احتلال فلسطين ، وثورة الجزائر ، وتنامي الحس القومي والشعور الوطني ، والانتفاضات والثورات هنا وهناك . وشغل الشعراء بهذه القضايا المصيرية ، ولم يعودوا يفكرون بالإشكاليات التي يطرحها المنظوون ، واخذوا يشاركون الشعب في آلامه وآماله ، وينظمون القصائد تعبيرا عن مواقفهم القومية والوطنية ، وتعرية القوى المتخاذلة ، وتعبئة

الجماهير للذود عن الوطن وقدسية الأرض . وتجلى ذلك في الأحـداث الجسيمة التي كادت تعصف بالأمة العربية كـالعدوان الثلاثـي علـى مصر ، والعدوان الثلاثيني وغيره على العراق ، وما تشهده فلسطين من صراع مع العدو الصهيوني المحتل ، وما يمثله شعراء المقاومة الذين لم تشغلهم الإشكالية عن قضية العرب الكبرى .

ولم يقف الشعراء عند هذا المنعطف فحسـب ، وانمـا بـدأوا يجربون الأساليب الجديدة ، ولج بعضهم في استخدام الأسطورة تقليـدا لما شاع في الشعر الغربي ، ويعد بدر شاكر السياب من أشهر الشـعراء الذين وظفوا الأسطورة في قصائده . حاول الشعراء بعد ذلـك اسـتلهام التراث العربي الإسلامي ، وتجلى ذلك في أثناء الحروب التي خاضتـها الأمة العربية ، وهي تصد العدوان .

وكادت الأسطورة الأجنبية تختفي إلا ما ينشره صغار الشـعراء ممن يحسبون ان توظيف الأسطورة من معالم التجديد الذي ليس بعـده تجديد .

وظهر القناع رديفا لاستلهام الشخصيات التاريخية ، وكان عبـد الوهاب البياتي من أبرز الشعراء الذين وظفوه في القصـائد . وأكـثر بعضهم من استخدام القناع ، ووفق بعضهم وخاب من لا يمتلك طاقـة شعرية . وثقافة واسعة ، وإدراكا عميقا لاستحضار الشـخصية التـي تضيء له السبيل .

وتوظيف القناع في الشعر ليس منكرا ، فهو أسلوب من أسـاليب التعبير المجتلبة من المسرح ، وتداخل الفنون معروف على أن يحسـن الشاعر توظيف القناع تعبيرا عن موقف أو رأي يخشى التصريـح بـه لسبب من الأسباب .

وكان التناص مدخلا من مداخل القصيدة المعـاصرة بوصفـه إغناء لها ، بعد أن جربت أساليب كثيرة في بنائها وتشكيلها مثل قصيـدة

النثر التي اشتهر بها محمد الماغوط تقليدا لما عرف في فرنسة . وسلر بعض الشعراء في هذا الاتجاه وكبروا له ، متخذين من كتاب " قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا " لسوزان بيرنار دستورا " .

واحتدم النقاش حول " قصيدة النثر " ولا يزال محتدما ، على الرغم من أن " الشعر " شعر ، وان " النثر " نثر من لدن ارسطو وكتابيه " الشعر " و " الخطابة " حتى هذه الأيام ، إذ لكل لون سمات وخصائص واضحة ، ولولا ذلك ما أتعب المعلم الأول نفسه ووضع الكتابين ، ولا أتعب النقاد واللغويون أنفسهم حين فرقوا بين اللونين ، وقالوا ان الكلام شعر أو نثر ، وان الأديب شاعر أو ناثر . أما ان يكون هناك شعر يسمى " الشعر المنثور " وقصيدة تسمى " قصيدة النثر " فهو ما يغير من طبيعة الشعر الذي لا بد من ان يرتبط بالإيقاع الذي يولده الوزن ، ولا عبرة بما يسمى الإيقاع الداخلي الذي لا يحصل إلا بالوزن أو ما يسمى الإيقاع الخارجي ، بدليل ان المحسنات البديعية التي يعدها بعضهم من وسائل الإيقاع الداخلي كالترصيع ، والتجنيس ، ورد العجز على الصدر ، والتكرار ، إذ دخلت النثر فقدت إيقاعها ، فضلا عن إنها لم ترد في القرآن الكريم وكلام العرب : شعره ونثره لهذا الغرض ، وانما لأغراض يحددها المعنى والسياق . فالشعر لا يكون شعرا إلا إذا كان موقعا ، والإيقاع وليد الأوزان الشعرية التي استقراها الخليل بن احمد الفراهيدي ، وأضاف إليها الأخفش بحر الخبب أو المتدارك وهذه البحور لا تخرج عن دوائر الشعر الخمس والتفعيلات الثماني التي تنسجم مع أبنية الكلام العربي .

وعلى الرغم من تعدد البحور وكثرة ما يتولد منها ، فان القدماء لم ينظموا في " المضارع " الذي أنكره حازم القرطاجني لما فيه من قبح وسخف وزن ، وعجب من وضعه ، وقال إنه مختلف ، لأن طباع العرب أفضل من ان يكون هذا الوزن من نتاجها . ولم ينظموا على ما

قيل ان أبا العتاهية قعد يوما عند قصار فسمع صوت المدقة فحكى ذلك في ألفاظ شعره وقال :

المنون دائرا تريدون صرفها

هن ينتقيننا واحدا فواحدا

ولا على ما اخترعته نازك الملائكة مما سمته " الموفور " لوفور أوتاده مثل الوافر ، ونظمت على هذا الوزن قصيدة " تحية للطفلة دالية ":

خضراء براقة مغدقة كأنها فلقة الفستقة

وأجابها الدكتور عبده بدوي ــ رحمه الله ــ والد الطفلة بقوله :

كانت وراء المنى وردة وفي ضمير السنا سقسقة

ولم تخرج القصيدتان عن تفصيلات الشعر العربي وهي : " مستفعلن فاعلن فاعلن "

وكان بعض الشعراء قد مزج بين الهزج والرمل في قصائد سميت " البند " وفيها تحرر من القافية الموحدة ، ولم تثمر هذه المحاولة ومات البند . وحاول بعض الشعراء الجمع بين البحور في قصيدة واحدة ، ولم تثمر هذه المحاولة إلا في الشعر المقطعي ، وفي المسرحيات الشعرية لتعدد الأصوات فيها .

فالشعر إيقاع كالغناء ، وليس من عيب في ان يكون الأديب ناثرا يبدع النثر الفني كما أبدع الجاحظ ، والتوحيدي ، وابن العميد ، وطه حسين ، واحمد حسن الزيات ، وزكي مبارك ، وكما يبدع غيرهم في النثر الفني ، لأن الإبداع لا يكون في الشعر وحده ، ورب ناثر مبدع خير من ألف شاعر تتعثر قصائدهم لأنهم لا يعرفون السبيل .

(٤)

لقد شهد القرن العشرون محاولات تجديدية تجلت في اللغة والأسلوب والتصوير والإيقاع والتقفيه ، ودخلت أساليب مقتبسة من الشعر الأجنبي . وهذا يدل على أن الشعر العربي المعاصر لم يقف عند رسوم الأوائل ورواد النهضة العربية الحديثة .

إن التجدد سنة الحياة ، ولابد من متابعة المستجدات والتعبير عنها ، على ان لا يذوب الشاعر العربي فيما يتنادى به منظر والشعر والنقد في الخارج ، وينشره شعراء نبذتهم الحياة القويمة ، لئلا يفقد شخصيته ويضيع في غمرة الاتجاهات المنكرة التي لا تعبر عن واقعه القومي والوطني والإنساني . وكان الواعون قد جددوا منذ مطلع القرن العشرين ، ولكنهم كانوا يضيفون لا يقلدون كجميل صدقي الزهاوي ، واحمد زكي أبو شادي ، وعباس محمود العقاد ، وإبراهيم المازني وغيرهم ممن جاء بعدهم ورفع لواء التجديد . أثمرت تلك الدعوة ثمرات طيبة ، ولم تثر إشكالية لأنها كانت خطوات موزونة . ومن ملامح التجديد في الشعر العربي الحديث :

اولاً : اللغة ، إذ هجر الشعراء الألفاظ القديمة ، واستعملوا الألفاظ التي تعبر عن الحياة الجديدة ، وأكسبوا اللغة إيحاءات ومعاني جديدة ، من غير تحطيم اللغة والخروج عن خصائصها .

ثانياً : بناء القصيدة إذ نوّع الشعراء في هيكلها بعد ان كانت نسقا واحدا ، واستعملوا الشعر المقطعي ، وشعر التفعيلة ، ونظم بعضهم الشعر المنثور ، وكتب بعضهم قصيدة النثر .

ثالثا : توظيف القصة والحكاية والقناع والأسطورة والتناص في بناء القصيدة .

رابعاً : توليد المعاني والصور الجديدة المعبرة عن الحياة الجديدة التي عاش الشعراء المبدعون فيها ، فذاقوا آلامها ، وحلموا بآمالها .

خامسا : معالجة القضايا التي تهم الإنسان ، وكان الشعر أصدق صورة للتيارات الفكرية والاتجاهات السياسية المعاصرة .

وظهرت حركات تجديدية باسم الحداثة التي تبنتها جهات معروفة ، ولكنها انحسرت ، لأنها كانت تدعو إلى هدم ما أبدعته القرائح العربية ، والى التبشير بلون من الشعر لا يعبر عن روح الأمة العربية وتطلعاتها ، وانما يعبر عن أهداف اتضحت فيما نشر من بيانات ، وصدر من مجلات ، وما قدم من جوائز ، ومكافآت ، وشهادات تقديرية لمن سار في هذا الاتجاه .

هذه أهم ملامح التجديد ، وتكاد موجه الشعر المعاصر تستقر في أواخر القرن العشرين ، ولم يعد الإبداع بعيدا عما كان في منتصفه، ولم تكن هناك إشكالية ، لأن الشعراء الكبار عرفوا طريقهم ، ولاءموا بين واقعهم ومتغيرات الحياة ، وأبدعوا حينما جربوا الأساليب الشعرية المختلفة ، وانتهوا الى شعر أصيل .

(٥)

هذه وقفة عند ملامح التجديد في الشعر العربي ، وهي ملامح واضحة تحدث عنها الباحثون والدارسون ، ولم تثر أمام الشعراء المبدعين والنقاد الكبار إشكالية ، وانما ابتدعها المقلدون لما يسمعون من إشكالية في العلاقات الدولية ، أو يقرأون من مقالات كتبها منم لا يعرف معنى الشعر وسمات النقد .

ولكن ــ بعد هذا ــ أهناك حقا " إشكالية التجديد الشعري " ؟ ان متابعة الشعر في العقدين الأخيرين من القرن العشرين وتلمس مواطن التجديد فيه ، والوقوف على سماته الأصيلة لا تثير إشكالا إذ سار الشعراء مع الحياة وما استجد فيها من مذاهب وتيارات فكرية وسياسية، وعرف كبارهم الثقافات الأجنبية فأخذ يجرب حتى وصل إلى

التجديد المعقول .

ولا عبرة بالصراع الذي وقع بينهم وبين النقاد الذين تعصب بعضهم لمنهج نقدي ، أو اتجاه عقائدي أراد فرضه على حركة الشعر العربي ، فكفرّ من لا يتفق معه في الرأي . ولكن الشعراء الكبار اعرضوا عن هذا ، لأنهم أصحاب فكر وقاد ، وقضية مركزية ، هي احتلال فلسطين وإرهاب الدول الاستعمارية .

كان الشعر " ديوان العرب " وسيبقى إلى ما شاء الله على الرغم من طغيان القصة والرواية والمسرحية ، لأنه اكثر تعبيرا عن الأحاسيس ونبض الوجدان ، وإثارة المشاعر القومية والوطنية والإنسانية في هذا الزمن الصعب الذي تخوض فيه الأمة العربية معارك التحرير .

(٦)

وصفوة القول أنه ليس من إشكالية في التجديد الشعري التي يثيرها بعضهم ، ولا يعلم أحد لون الشعر العربي الذي سيكون في القرن الحادي والعشرين أيرتد إلى ما كان عليه الشعر القديم لغة وأسلوبا ومعاني وتصويرا ؟

أيظل مرتبطا بسمات شعر القرن العشرين ؟

أيواصل السير فيكون حلقة جديدة من حلقات الشعر العربي ؟

أيعلن القطعية بينه وبين الماضي ؟

أيستلهم عوالم جديدة ؟

هذه أسئلة تثار ، وقد تجد أجوبة أو لا تجد ، ويمكن تصور ملامح الشعر الجديد من خلال مسيرته ، في :

أولاً : اللغة المعاصرة التي يدركها المتلقون ، ويشعرون بإيحاء مفرداتها ودلالاتها ، ولن يقدر على ذلك إلا الشاعر الذي أتقن اللغة ، وعرف أساليبها ووسائل استثمارها .

ثانياً : الغموض الشفاف الذي يحرك الأذهان ويثير المشـــاعر ، وما عيب بعض الشعراء إلا لإسرافهم في الغموض بحجة الحداثـــة ، أو لإيمانهم بالسريالية التي كان لها دعاة هنا وهناك في الوطن العربي .

ثالثاً : التعبير عن الواقع العربي والوجداني ، لأن الشعر ليـــس عبثا كما يفعل بعض المتشاعرين الذين يقولـــون إنـــهم يعـــبرون عـــن اللاوعي وعن رؤى وتجليات لا يدركها إلا مـــن خـــاض فـــي بحـــر المكاشفة ، وعرف مغاليق الأسرار .

رابعاً : التصوير الموحي الذي يغرس القيم النبيلة لا التصويـــر الذي يثير الغرائز ويشيع الخدر والضلال .

خامساً : الاهتمام بالجانب الفني السليم لتكون القصيدة متمـــيزة وليست كلاما يقال من غير تدبر وإمعان .

سادساً : الانتفاع بالأساليب العربية التي تغني القصيدة كالالتفات الذي يلونها بتنوع الخطاب والانتقال من أسلوب الى أسلوب يجد الشاعر روعته فيما ورد في القرآن الكريم والشعر حيـــث تتنـــاوب الضمـــائر وتتنوع ألوان الخطاب .

وكالتجريد الذي هو إخلاص الخطاب لغير المتكلم ويـــراد بـــه المتكلم لا المخاطب نفسه . وفي البلاغة العربية الكثير مـــن الأســـاليب التي تبعث الروح في الشعر ، ولولا ذلك ما ظهر في الأمـــة العربيـــة شعراء كأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، وأبي العلاء المعـــري فـــي القديم ، وكأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، والرصافي ، والجواهـــري ، وبدوي الجبل ، ونزار قباني ، ومن جاء بعدهم من الشعراء المبدعيـــن في هذا الزمان .

سابعاً : الالتزام بالإيقاع المتمثل في أوزان الشعر العربي ، لأن الخروج عنها يجعل الكلام نثرا .

وليس وراء التجديد المستقبلي أو أمامه إشكالية ، ولكن بعضهم لا يحلو له إلا وضع العقبات والتصورات الخيالية ليكتبوا ويظهروا في وسائل الأعلام التي تحلو لها الإثارة في كثير من الأحيان .

لقد مر الشعر العربي بمراحل كثيرة ، وشهد تجديدا في كل عصر حتى إذا ما وصل إلى القرن العشرين وقد رانَ عليه الجمود انبعث من جديد وسرت روح التجديد فيه ، وسار الشعراء الكبار بخطى موزونة ، وجددوا ما شاءت لهم مواهبهم وثقافتهم فكان الشعر الجديد بلغته السليمة ، وأساليبه البديعة ، وصوره الرائعة ، " ديوان العرب " في القرن العشرين .

وبعد :

فان الأمة العربية تريد شعراً يعبر عن واقعها وطموحاتها المشروعة في الحياة الحرة الكريمة ، لا شعر الأقبية والدهاليز ، ومن تنكر للقيم الرفيعة وهام مع الشعراء الأغراب في كل واد .

أهمية الجامعات المتميزة في الوطن العربي
ــ جامعة النهرين أنموذجا ــ

الدكتور ناجح الراوي
أستاذ متمرس ــ جامعة بغداد
عضو المجمع العلمي

الملخص :

شهدت الحضارة العربية الإسلامية جامعـات ومعـاهد متميزة في نشر العلوم والمعرفة . اما اليوم فـان الجامعـات العربية لا ترقى الى التميز على المسـتوى العـالمي بسـبب ضعف الإمكانيات المادية والعلمية وعدم اسـتيعابها لضغـط الأعداد المتزايدة من الطلبة الراغبين في التعليـم الجـامعي . لذلك تبرز أهمية اختيار بعض الجامعـات واعطائـها دعمـا استثنائياً لكي تؤهل ان تكـون بيـن المؤسسـات العلميـة المرموقة في العالم .

يشير البحث الى عدد من الجامعات المتميزة في العالم ، مستلزمات التميز ، وتجربة جامعـة النـهرين فـي العـراق كمحاولة لجعلها جامعة متميزة .

١. **المقدمة :**

كان العلم وما يزال سمة ترافق التقدم الحضاري للأمم والشعوب . فقد تميزت الحضارات القديمة في الصين والهند واليونان باهتمام وتقدم العلوم والفلسفة . وشهدت حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل القديمة تميزا في مختلف نواحي العلوم والتكنولوجيا المناسبة لذلك العصر . اما الحضارة العربية الإسلامية التي ازدهرت بين عامي ٧٥٠ ــ ١٢٥٨م فقد أضافت للمعرفة الإنسانية إضافات نوعية في حقول الفقه ، والآداب ، والكيمياء ، والطب ، والفلك ، والهندسة ، والجبر ، والفلسفة ، وعلم الاجتماع . فكان لجامعات المستنصرية والقرويين والأزهر ومعهد الزيتونة والمدرسة النظامية ، الأثر المباشر في نشر العلوم والآداب وازدهار الحضارة العربية لعدة قرون[١]. فكانت هذه الجامعات معاهد متميزة في عهدها ، ولكنها اضمحلت وتلاشت بعد احتلال الوطن العربي وانتقال مركز الإشعاع الحضاري الى أوربا إذ انتقلت اليها العلوم والمعرفة عن طريق الأندلس حوالي سنة ١٥٠٠م .

يعد التعليم افضل استثمار في تنمية المجتمعات والأمم والشعوب . وتتحمل الجامعات والمعاهد العبء الأكبر في تكوين راس المال البشري والحفاظ على ثقافة الأمة وتجديد حيويتها .

ان المؤسسات الأكاديمية ــ جامعات ومراكز بحوث لاسيما المتميزة منها تعد مقياس ومؤشر لتقدم الأمم والشعوب . وكلمة (أكاديمية academy) تعود الى مكان قرب أثينا كان يجتمع فيه أفلاطون واصحابه يناقشون الأمور العلمية والفلسفية [٢] . وتعد المدرسة النظامية في بغداد والتي أسست لتكون بمثابة أكاديمية لنشر صنوف

العلوم والمعرفة اقدم باربعمئة سنة عن أكاديمية العلوم الإيطالية (أول أكاديمية في الغرب الحديث) [٣].

اما اليوم فعلى الرغم من محاولات نشر التعليم في الوطن العربي وزيادة الطلب على التعليم العالي ، حيث اصبح عدد الجامعات ما يقرب من مئتي جامعة ، الا ان أي من هذه الجامعات لم ترقى الى الجامعات والمعاهد المتميزة في العالم من حيث مستوياتها العلمية .

لقد اصبح العلم والبحث العلمي الطريق الصائب لتخطي العقبات والتحديات في القرن الحادي والعشرين ، ولعل تجارب اليابان ودول جنوب شرق آسيا في القرن الماضي خير دليل على ذلك .

١.سمات وفلسفة التعليم في الوطن العربي :

ازداد الطلب على التعليم في الربع الأخير من القرن الماضي في الوطن العربي واخذت بعض أقطاره بمبدأ التعليم الإلزامي لتقليص الأمية بهدف محوها ، شعورا من الأجهزة الرسمية بأهمية التعليم ، وانسجاما مع التطور الحضاري للأمم . ونتيجة لزيادة أعداد الطلبة في المرحلة قبل الجامعية بسبب الزيادة بعدد السكان والرغبة في التعليم فقد اصبح الطلب متزايداً على التعليم الجامعي ، وظلت فلسفة التعليم الجامعي في اغلب الأقطار العربية تتأرجح بين فلسفتين :

٢ــ١ــ التعليم العالي للنخبة المتفوقة من بين الخريجين من الثانويات وذلك لاعداد الملاكات المتخصصة لدوائر الدولة والمجتمع .

٢ــ٢ــ التعليم العالي حق للجميع فهو ثقافة عامة والدولة غير ملزمة بتعيين الخريجين .

ويمكن إيجاز أهداف الجامعة في الوقت الحاضر على النحو الآتي :

أ. نقل المعرفة عن طريق التدريس

ب. توليد المعرفة بوساطة البحث العلمي .

ج. تطبيق المعرفة وخدمة المجتمع .

ولعل الهدف الأول هو الهدف الطاغي في اغلب الجامعات العربية فمساهماتها في توليد المعرفة وفي تطبيقها ما زال محدودا ، وان نسبة ما تصرفه الدول العربية على البحث والتطوير R & D هو اقل ما يصرف في العالم كما يوضح الجدول رقم (١).[٤] اما ما يصرف على الأمور العسكرية من دون جدوى ـ فهو من أعلى ما يصرف في العالم .

جدول رقم (١)

نسبة ما يصرف على البحث والتطوير R & D من GDP عام ٢٠٠٠م[٤]

الدولة	النسبة	الملاحظات
اليابان	٢,٩	
كوريا الجنوبية	٢,٩	
الولايات المتحدة الأمريكية	٢,٨	
ألمانيا	٢,٦	
فرنسا	٢,٢	المعدل العالمي ١,٧
المملكة المتحدة	١,٩	الدول الصناعية ٢,٤
كندا	١,٧	الدول النامية ٠,٨
الصين	١,٠	
روسيا	١,٠	
البرازيل	٠,٩	
جنوب افريقيا	٠,٧	
الهند	٠,٥	
العرب	٠,٢	

٣ ـ الجامعات والمعاهد المتميزة في العالم :

تشير دراسة أجرتها جامعة شنغهاي في الصين(٥)عـام ٢٠٠٤م الى ان دول العالم المتقدم صناعيا تتميز بجامعاتـها ومعاهدهـا ، وان افضل عشر جامعـات حسـب هـذه الدراسـة كـان علـى وفـق التسلسل الآتي :

١. هارفرد
٢. ستانفورد
٣. كمبردج
٤. كاليفورنيا (بيركلي)
٥. معهد ماساشوستس التكنولوجي (M.I.T)
٦. معهد كاليفورنيا التكنولوجي
٧. برنستون
٨. اكسفورد
٩. كولومبيا
١٠. شيكاغو

وقد قدمت الدراسة افضل ٥٠٠ جامعة ومعهد في العالم ويبيـن الجدول رقم (٢) توزيع هذه الجامعات المتمـيزة علـى دول العـالم . ويتضح من الجدول ان أي من جامعات الدول العربية او الإسلامية لـم تدرج ضمن الجامعات المتميزة .

ان تقييم (تقويم) التميز لجامعة ما هو تقييم عـام ... ويمكـن لبعض الجامعات ان تبرز وتتميز باختصـاص معيـن ، فالجامعـات الأمريكية مثلا تقدم تقييما سنويا للجامعات ولكل قسم على حدة ، ويمكن ان يبرز قسما من دون آخر .

جدول رقم (٢)

توزيع افضل ٥٠٠ جامعة ومعهد على دول العالم[٥]

التسلسل	الدولة	عدد الجامعات المتميزة	عدد السكان[٦]	الجامعات المتميزة لكل مليون
١	الولايات المتحدة الأمريكية	١٦٨	٢٩١,٠٠٠,٠٠٠	٠,٥٧٧
٢	ألمانيا	٤٣	٨٢,٥٣١,٦٧١	٠,٥٢١
٣	المملكة المتحدة	٤٢	٥٨,٧٨٩,١٩٤	٠,٧١٤
٤	اليابان	٣٤	١٢٧,٦١٩,٠٠٠	٠,٢٦٦
٥	كندا	٢٣	٣١,٩٢٠,٠٠٠	٠,٧٢٦
٦	ايطاليا	٢٣	٥٧,٨٨٨,٢٤٥	٠,٣٩٧
٧	فرنسا	٢١	٦٠,٢٠٠,٠٠٠	٠,٣٤٩
٨	استراليا	١٤	١٨,٩٧٢,٣٥٠	٠,٧٣٨
٩	هولندا	١٢	١٦,٢٩٢,٣٥٤	٠,٧٣٧
١٠	السويد	١٠	٩,٠١١,٣٩٢	١,١١٠
١١	أسبانيا	٩	٤٢,٧١٧,٠٦٤	٠,٢١١
١٢	الصين	٩	١,٢٤٢,٦١٢,٢٦٦	٠,٠٠٧
١٣	كوريا الجنوبية	٨	٤٨,٥١٧,٨٧١	٠,١٦٥
١٤	سويسرة	٨	٧,٣١٧,٨٧٣	١,٠٩٣
١٥	إسرائيل	٧	٤,٧٢٥,٠٠٠	١,٤٨١
١٦	بلجيكا	٧	١٠,٣٣٦,٤٢١	٠,٦٧٧
١٧	النمسا	٥	٨,١٤٠,١٢٢	٠,٦١٤
١٨	الصين ــ هونغ كونك	٥	٦,٧٠٨,٣٨٩	٠,٧٤٥
١٩	الدنمارك	٥	٥,٤١١,٤٥٠	٠,٩٢٤
٢٠	فنلندة	٤	٥,٢٣٦,٦١١	٠,٧٦٤
٢١	النرويج	٤	٤,٥٧٧,٤٥٧	٠,٨٧٤

٢٢	البرازيل	٤	١٨٤,١٨٤,٢٦٤	٠,٠٢٢
٢٣	جنوب افريقيا	٤	٤٦.٨٨٨,٢٠٠	٠,٠٨٥
٢٤	ايرلندة	٣	٣,٩١٧,٢٠٣	٠,٧٦٦
٢٥	نيوزيلاند	٣	٤,٠٠٩,٢٠٠	٠,٧٤٨
٢٦	المجر	٣	١٠,١٤٢,٣٦٢	٠,٢٩٦
٢٧	الصين ـ تايوان	٣	٢٢,٦٨٩,١٢٢	٠,١٣٢
٢٨	الهند	٣	١,٠٢٧,٠١٥,٢٤٧	٠,٠٠٣
٢٩	اليونان	٢	١٠,٩٣٩,٧٧١	٠,١٨٣
٣٠	سنغافورة	٢	٤,١٦٣,٧٠٠	٠,٤٨٠
٣١	بولندة	٢	٣٨,١٧٣, ٨٣٥	٠,٠٥٢
٣٢	روسيا	٢	١٤٥,١٦٦,٧٣١	٠,٠١٤
٣٣	شيلي	١	١٥,١١٦,٤٣٥	٠,٠٦٦
٣٤	البرتغال	١	١٠,٤٧٤,٦٨٥	٠,٠٩٥
٣٥	الجيك	١	١٠,٢١١,٤٥٥	٠,٠٩٨
٣٦	الأرجنتين	١	٣٦,٢٦٠,١٣٠	٠,٠٢٨
٣٧	المكسيك	١	٩٧,٤٨٣,٠٠٠	٠,٠١٠

٤ ـ سمات ومعايير تميز الجامعات :

تتميز الجامعات العالمية المعروفة بتقاليدها الأكاديمية وسمعتها العلمية المرموقة واستقرار أساليب عملها..وتطور مكتباتها ومراكز التوثيق فيها واحتوائها على المختبرات الحديثة المتطورة ويسعى للعمل فيها خيرة العلماء والأساتذة في حقل الاختصاص،لذلك يتبارى الطلبة المتفوقون للدخول في هذه الجامعات والمعاهد التي تتوازن فيها عادة الدراسات الجامعية الأولية والدراسات العليا ومراكز البحوث العلمية فتسعى المؤسسات والشركات لدعمها مادياً للاستفادة من بحوثها العلمية في تطوير منتجاتها ومن خصائص الجامعات المتميزة على النحو الآتي :

٤ ــ ١ العناية الفائقة باختيار رؤساء الجامعات ، وعمداء الكليات ، ورؤساء الأقسام العلمية ، من العلماء والتربويين المشهود لهم بالكفاية .

٤ــ٢ استقلال الجامعة من أي تدخل في شؤونها الداخلية على الرغم من إسناد الحكومة لها ودعمها مادياً بسخاء من الدولة ومؤسسات المجتمع وادارة الجامعة من مجلس أمناء مستقل ممن يشهد لهم بالكفاية المعهودة .

٤ــ٣ اختيار الكليات والأقسام العلمية المطلوبة بعناية وجذب خيرة الأساتذة المعروفين بعطائهم وانتاجهم العلمي وصرف رواتب مجزية لهم وتشجيعهم على حضور المؤتمرات العلمية واعطائهم المرونة من حيث الصلاحيات للصرف على الأبحاث العلمية وخلق الشعور بالانتماء للجامعة ، والتنافس العلمي الموضوعي لنشر الأبحاث وتأليف الكتب ، وتسجيل براءات الاختراع .

٤ــ٤ تحديد عدد الطلبة المقبولين في الجامعة ومستوياتهم وبما يحافظ على نسبة عالية بين الأساتذة والطلبة .

٤ــ٥ فتح مرافق الجامعة ــ المختبرات والمكتبة ــ أمام الطلبة لاسيما طلبة الدراسات العليا لأوقات مناسبة ، وحسب الحاجة ، وتشجيع الفعاليات اللاصفية ، والاهتمام بنوادي الطلبة والأقسام الداخلية ، والمرافق الرياضية .

٤ــ٦ تقييم أداء عادل وموضوعي للمنتسبين وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب (مكافأة المجدين ومحاسبة المقصرين) .

ان الجامعات المعاهد المتميزة غالباً ما تكون منبع الأفكار الجديدة والاختراعات ، ومنها يظهر حملة جوائز نوبل والجوائز

الأخرى المعروفة عالمياً . ولأساتذتها تنشر البحوث الأصيلة المتميزة ومنها يبرز القادة لمجتمعاتهم .

٥ ـ مبررات وجود جامعات ومعاهد متميزة في الوطن العربي :

ان اغلب الجامعات العربية اليوم تتسم بانخفاض المستوى العلمي ، وغياب الجو الجامعي ، اغلبها عبارة عن ثانويات كبيرة تعج بآلاف الطلبة من دون توفر المستلزمات المطلوبة .

ان رغبة الطلبة لاكمال الدراسة الجامعية وزيادة الإقبال على التعليم والأخذ بمبدأ ـ التعليم العالي حق للجميع ـ أدى الى ان تقوم الجامعات بقبول آلاف الطلبة المتقدمين مع ان إمكانيات استيعابها محدودة . ومن الملاحظ ان الإمكانيات المادية للصرف بسخاء على الجامعات في الأقطار العربية محدودة باستثناء دول الخليج العربي النفطية .. اما عدد الأساتذة المؤهلين فهو غالباً لا يتناسب واعداد الطلبة وان رواتب الأساتذة ومخصصاتهم قليلة ، والأجواء غير مشجعة ، فهم مرهقون بساعات تدريسية عديدة ، واغلبهم يعمل من دون المحفزات الموجودة في جامعات الغرب المتميزة .. لذلك فان التفكير بتأسيس بعض الجامعات المميزة في الأقطار العربية له ما يبرره ..

فالصرف بسخاء على جميع الجامعات غير ممكن في اغلب الأقطار بسبب الأوضاع الاقتصادية وان عدد الأساتذة بالعدد والنوعية المطلوبة للجامعات غير متوفرة حالياً مع أهمية إيجاد ملاكات علمية متميزة وخبراء في جميع الاختصاصات ، ومراكز بحثية متقدمة في حقول العلم والتكنولوجيا .. أي هناك حاجة في الأقطار العربية لتخريج نخبة لقيادة المجتمع مما يحتم التركيز على جامعات ومعاهد معينة واعطائها كل الدعم والتميز من ملاكات ورواتب وتهيئة الجو العلمي

والأمن لتكون هذه المعاهد والجامعات مراكز إشعاع تساعد في خلـــق العلماء والمفكرين وتشارك في البحث العلمي الجاد ونقل التكنولوجيـــا والتأثير الفاعل في خدمة المجتمع . وبذلك تكون الجامعـــات الأخـــرى لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الطلبة ونشـــر الثقافـــة العامـــة ضمـــن الإمكانيات المتاحة ويتاح للجامعة المتميزة تخريج النخبة المطلوبة .

٦ ــ تجربة جامعة النهرين :

تأسست نواة الجامعة من كليات طب وكلية للقانون عام ١٩٨٧م وكلية للهندسة والعلوم عام ١٩٨٨م. ثم تأسست جامعة بموجب القـانون رقم ١٧ لسنة ١٩٩٣م لتضم كلية للعلوم السياسية فضلا عن الكليـــات السابقة ، وفي عام ٢٠٠٢م استحدثت كلية المعلوماتيـــة، وفـــي عـــام ٢٠٠٣م عدل اسم الجامعة الى جامعة النهرين.

كان الهدف ان تكون الجامعة .. جامعة نموذجية متميزة عـــن باقي الجامعات العراقية بنظامها وارتباطها ونوعية الأساتذة ، والطلبة ، وامتيازات الطلبة ومحدودية أعدادهم ، وقد أعطيت كـــل الامتيـــازات الممكنة في ظل الظروف التي كان يعيشـــها القطـــر آنـــذاك ... فـــهل أصبحت جامعة متميزة ؟ للجواب على التساؤل لابد مـــن اســـتعراض ابرز الإيجابيات والسلبيات للجامعة خلال عمرها القصير نسبيا .

٦ــ١ــ الإيجابيات :

٦ــ١ــ١ استقطبت أساتذة بمستويات علمية جيدة ومن حملـــة شـــهادة الدكتوراه في الغالب ، وذلك بنقل اغلبهم من الجامعات العرقية الأخرى لاسيما جامعة بغداد .

٦ــ١ــ٢ منحت الأساتذة رواتب مجزية تقارب ثلاثـــة أضعـــاف مـــا يتقاضاه زملائهم في الجامعات الأخرى .

٦ــ١ــ٣ قبلت أعداد محدودة من الطلبة المتفوقين نسبيا في الامتحانات الوزارية للدراسة الثانوية واجرت لهم امتحان قبول خاص ، ومنحــــت الطلبة مخصصات شهرية ، وامنت لهم التعيين بعد التخرج .

٦ــ١ــ٤ حددت ساعات المحاضرات (التي يلقيها الأســـــاتذة ضمــن النصاب ليتسنى لهم إجراء البحوث العلمية والإشراف على الطلبة .

٦ــ١ــ٥ حاولت ان تطبق نظام الوحدات بدلا من النظام الســــنوي او النصف سنوي المعمول به في الجامعات العراقية الأخرى ، فتم استثمار فصل الصيف للدراسة .

٦ــ٢ــ السلبيات :

٦ــ ٢ ــ١ ــ لم تكوّن الجامعة لها موقع محدد (حرم جامعي موحـــد campus) ، فقد اقتطعت جزء من حرم جامعة بغداد فـــي الجادريـــة وكونت جزء آخر في الكاظمية على الرغم من قلة عدد كلياتها وطلابها عند التأسيس ففقدت وحدة الموقع احتكاك الأساتذة والطلبة فيما بينهم ... ففقدت الجو الجامعي المطلوب .

٦ــ٢ــ٢ــ لم يتالف للجامعة مجلس أمناء مـــن العلمـــاء والـــتربويين المعروفين كما كان مخططا لها . فارتبطت بديوان رئاسة الجمهوريـــة مما افقدها المرونة والحرية الأكاديمية .

٦ــ٢ــ٣ــ أخذت بنظام المقررات بالاسم فقط وبدوام مكثف بما فيـــه فصل الصيف لاختزال الوقت، ولم يكن للطلبة أيــــة حريــة باختيــار الدروس او عددها في الفصل الواحد ... وقلصت مدة الدراسة لتصبــح ثلاث سنوات للشهادة الجامعية الأولية (باستثناء الطـــب الـــذي بقـــي سنوات) . ويستمر اغلب الخريجين لسنتين إضافيتين للحصـــول علـــى

شهادة الماجستير بغض النظر عن إمكانيات الطلبة وظروفهم وقابلياتهم .

٦ـ٢ـ٤ـ لم تتمكن الجامعة من جذب افضل الطلبة على الرغم من الامتيازات بسبب حداثة الجامعة وبعض الأجواء الأخرى .

٦ـ٢ـ٥ـ لم تتطور المختبرات والأجواء الأكاديمية ولم يلمس تأثير واضح للجامعة في المجتمع كما كان مؤملا .

ان من سمات الدول النامية عدم الاستقرار ، لهذا فبعد احتلال العراق من الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٣ . فقد اصبح ارتباط الجامعة عائما ، واخيرا ارتبطت بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ليسري عليها ما يسري على باقي الجامعات العراقية وبذلك فقدت امتيازاتها والأمل في ان تكون جامعة متميزة .

٧ ـ الخاتمة :

ما زال عدد خريجي الجامعات في الوطن العربي قليل بالنسبة لعدد السكان ، وان التطور السريع في مجال العلم والتكنولوجيا يتطلب زيادة المعرفة ، ومن المتوقع ان يزداد الطلب على التعليم الجامعي وهو حق لمن يرغب فيه .

ان أوضاع الجامعات العربية ومعاهدها غير قادرة في الوقت الراهن ان توفر تعليما متميزا نظرا للصعوبات المادية ، وعدم توفر الملاكات المؤهلة والكافية للوصول الى التميز في معظم الأقطار . لذلك فان تبني عدد الجامعات واعطائها الدعم اللازم والرعاية الكافية لتخريج نخبة من العلماء والمفكرين وتكون مراكز إشعاع ومراكز للبحث العلمي في حقول واختصاصات محددة له ما يبرره في هذه المرحلة لتقليص الفجوة التي تفصلنا عن العالم المتقدم .

المصادر :

١. ناجح الراوي ــ آراء في العلم والتكنولوجيـــا ــ البـاب الأول ــ الفصل الثالث ــ المجمع العلمي ــ بغداد ــ ٢٠٠٣ .
2. Webster's New Collegiate Dictionary
3. Zoubi, Moneef " Academies of Sciences Defining Principles Twas Newsletter vol.15 No.2 April – June 2003, pp. 8-10.
4. UNESCO – 2003 .
   Global investment in R&D today
5. Institute of Higher Education Shanghai Jiao Tong University, China http:/ed.sjtu.edu.cu/ramk/2004/top 500list.btm .
6. www . city population. de/.

الآراميون والعرب والأصول السامية

أ. د. عادل البكري
طبيب اختصاصي بالأمراض الجلدية
والصحة العامة
الموصل

الملخص :

كانت شبه الجزيرة العربية موطن أقوام كثيرة نزحت الى وادي الرافدين وبلاد الشمال تحت ضغط ظروف قاسية أجبرتهم على هذا النزوح بعد ان كانت جيدة المناخ كثيرة الخصب . وكانت الهجرة قد استمرت عدة قرون وتتميز بخصائص متشابهة في قواعد اللغة والاشتقاق وفي كثير من المفردات التي تحتوي على حروف الحلق التي تنفرد بها لغات هؤلاء الأقوام . وكانت اللغة الأكدية اقدم هذه اللغات وتفرعت عنها اللغة البابلية والآشورية . ونذكر من هؤلاء الأقوام الكنعانيين الذين ينتسب اليهم الاوغاريتيون الذين في شمال سوريا ثم جاءت موجات الآراميين مع انتهاء الألف الثاني قبل الميلاد فحلوا محل الكنعانيين واقاموا فيها ممالكهم ونشروا لغتهم الآرامية التي أصبحت هي اللغة الشائعة في المنطقة كلها .

نشأت في شبه الجزيرة العربية منذ عصور سحيقة أقوام ينسبها المؤرخون الى سام بن نوح . وقالوا ان لسام عددا من الأولاد منهم آرام وارفخشذ (في التوراة ارفكشاد)[١]، ويذكر الدينوري ان آرام اكبر سنا وقد اختص أولاده باللسان العربي وهم عاد وثمود وطسم وجديس وجاسم ، وآخرون . فارتحل عاد مع من تبعه حتى حل بأرض اليمن ، وارتحل اخوته الى أطراف الجزيرة في الحجاز والطائف وسواحل الخليج[٢] وتفرقوا واندثرت مستوطناتهم وهم العرب البائدة .

اما أحفاد ارفخشذ بن سام فهم من أبناء عابر الذي له ولدان هما (فالغ) وهو جد إبراهيم الخليل ، وقحطان وهو جد العرب القحطانيين ، وابنه يعرب هو جد العرب العاربة وهكذا يلتقي العرب المستعربة أولاد إسماعيل بن إبراهيم مع العرب العاربة أولاد قحطان عند جد واحد هو عابر بن شالخ ، وهؤلاء يلتقون مع أولاد آرام ، وهم العرب البائدة [٣]. وتفرق جميع أولاد سام في ارض الجزيرة العربية طلبا للماء والعشب حتى ضاقت بهم الأرض . وبعد قرون عديدة لم تعد الأرض تستوعبهم والصحراء لا تستقبلهم فنزحوا نحو الشمال الى بلاد الشام وارض الرافدين على شكل موجات بشرية واسسوا قراهم ومستوطناتهم على ضفاف الفرات وفي السهول والبوادي .

ولم تكن هذه الموجات البشرية التي تهاجر الى الهلال الخصيب تحمل أسماء عشائر واقوام ، ولا تتميز بصفات معينة تفرقها عن غيرها من هذه الجموع التي تنتقل على ظهور الجمال والحيوانات وتسوق

---

[١] سفر التكوين ١٠/٢١ .

[٢] الأخبار الطوال ــ أبو حنيفة الدينوري ــ بيروت ١٩٨٨ ــ ص ٨ .

[٣] المصدر السابق ــ ص ١١ .

أمامها ماشيتها باتجاه الشمال ، فكلها جموع واقوام نازحة ولكن الـــذي يجمعها هو لهجات بدائية متقاربة تربطها معها في وحدة لغويـــة الـــى جانب وحدة عرقية ، غير ان المسافات الشاسعة والبعد الجغرافي يجعل بينها بعض الاختلاف الذي يجعل كل واحدة منها قائمة بذاتها وهي عند هجرتها تتجمع في أماكن الخصب والمياه ويتقارب أفرادها ويتكـــاثرون في أجيال متعددة وعندئذ تطلق عليهم تسمية معينة حسب الأرض التـــي يستوطنونها او المدينة التي يشيدونها ، كما حدث للعموريـــين عندمـــا شيدوا مدينتهم (أكد) فصاروا يعرفوا بالاكديين . وقـــد نزحـــت هـــذه الأقوام من شبه لجزيرة العربية بسبب الظروف غير الطبيعية والقاسـية التي حلـــت بها بعد ان كانت جيدة المناخ كثـــيرة الخصـــب وعـــامرة بسكانها ، فقد كانت (خلال الفترة التي سبقت ميلاد المسيح بأكثر مـــن عشرة آلاف سنة أشبه بالجنات النضرة لكثرة مـــا فيـــها مـــن زروع ونباتات وان جنة عدن التي ورد ذكرها في التوراة كانت موجودة فـــي شبه جزيرة العرب في تلك الحقبة من الزمن [٤].

غير ان المناخ في شبه الجزيرة العربية قد تغير (واخذ الجفاف يغلب على مناخها بصورة تدريجية وتقل فيها الأمطار حتى غدت الحياة في ربوعها صعبة وقاسية بالنسبة للإنسان والحيوان بسبب تحول أقسـام كبيرة منها الى صحار جافة فاضطر الناس الى الـــهجرة عنـــها الـــى أطرافها ولاسيما الأطراف الشمالية حيث سهول وادي الرافديـــن . ان هجرت أقوام شبه الجزيرة العربية لم تتم في وقت واحد او دفعة واحـدة

---

[٤] الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ الدكتور هاشم يحيى الملاح ــ الموصل ١٩٤٤ ــ ص ٣٨ (ذكره نقلا عن كيتياني فليراجع في مصدره) .

وانما تم ذلك على نحو بطيء وتدريجي منذ بدا الجفاف يغزو أراضي شبه الجزيرة العربية قبل الميلاد بأكثر من عشرة آلاف سنة وحتى سنة خمسة آلاف سنة قبل الميلاد اذ أخذت موجات الهجرات تزداد وتتكاثر بسبب غلبة المناخ الصحراوي على أجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية)[٥].

ويقول الدكتور احمد سوسة في الموضوع نفسه (ان هلاك هذه القبائل كانت بسبب كوارث نزلت بها كالعواصف الرملية او البراكين او الهزات الأرضية ، ولعل أهم من ذلك انحباس المطر واجتياز الجفاف للمنطقة مما أدى الى نزوح الإنسان والحيوان من وطنهما والارتحال عنه الى مناطق تتوفر فيها أسباب العيش وفي مقدمتها المياه . اما القبائل التي كتب لها البقاء بعد هلاك الطبقة الأولى فهم العرب القحطانيون والعرب العدنانيون [٦].

والقحطانيون ينتسبون الى قحطان وهو (يقطان) الذي ورد اسمه في التوراة وهو يقطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح[٧]. ويقطان من أولاده (حضرموت)[٨] مما يشير الى موطنهم في جنوب شبه الجزيرة العربية اما العدنانيون فهم أولاد عدنان بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل وزوجة إسماعيل هي رعلة بنت مضاض من قبيلة جرهم القحطانية وهم العرب العاربة نسبة الى يعرب بن قحطان ، وكان العدنانيون العرب المستعربة لانهم من نسل إسماعيل بن

---

[٥] المصدر السابق ــ ص ٣٩ .

[٦] العرب واليهود في التاريخ ــ الدكتور احمد سوسة ــ الطبعة الثانية ــ ص ١١٧ .

[٧] سفر التكوين ١٠ / ٢٣ و ٢٦ .

[٨] المصدر نفسه .

إبراهيم الآرامي[٩] فاستعربوا لاختلاطهم بهم وهم أخوالهم وتعلموا منهم اللغة العربية .

وقد استمرت موجات الهجرة لهذه القبائل عدة قرون فقد انطلقت من شبه الجزيرة العربية شمالا باتجاه الهلال الخصيب . وكانت أولها هجرة الاكديين حوالي سنة ٣٥٠٠ق.م ، تلتها هجرة الكنعانيين والفينقيين والآراميين وآخرها هجرة الأنباط والتدمريين حوالي سنة ٥٠٠ق.م [١٠].

ولغات هذه القبائل التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية تتصف جميعا بخصائص متشابهة فهي تتشابه في قواعد النحو والاشتقاق وفي كثير من المفردات التي تحتوي على حروف الحلق أي الأصوات الحلقية التي تنفرد بها هذه اللغات مما يدل على انها فروع لاصل واحد وهذا التشابه هو الذي حمل العالم الألماني شلوتزر ١٧٨١ على اعتبارها لغات لشعوب ذات اصل واحد يرجع الى سام بن نوح[١١].

على ان هذه التسمية غير علمية وغير دقيقة فقد اعتمد شلوتزر على ما جاء في التوراة . ومن المعلوم ان اقدم أجزاء التوراة وهي أسفار موسى الخمسة لم تدون الا في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد من قبل أحبار اليهود وهم في بلاد بابل . وقد أدى تأخر تدوين هذه الأسفار حوالي سبعة قرون الى إدخال تحريفات وتعديلات عليها بما يتلائم مع أغراض اليهود وأهدافهم ونظرتهم الى الأقوام الأخرى[١٢]،

---

[٩] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. جواد علي ـ ج١ ص ٢٩٤ .

[١٠] محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. صالح احمد العلي ـ ص١٢ .

[١١] العرب واليهود في التاريخ ـ د. احمد سوسة ـ الطبعة الثانية ـ ص ١٢٨ .

[١٢] اللغة الاكدية ـ د. عامر سليمان ت الموصل ١٩٩١ ـ ص ٦٤ .

فهم حشروا في السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين واللوديين واقصوا أقواما كان ينبغي إدخالها في زمرة الساميين مثل الفينقيين والكنعانيين مع انهم يعلمون حق العلم ان الكنعانيين هم الساميون العرب الاصليون سكان فلسطين[١٣]. ثم ان اصطلاح السامية يشير الى نسب ، لذلك ذهب بعض الباحثين الى تخطئة تسمية السامية وتأكيدهم ان تسمية (العربية) هي اكثر تمشيا مع الواقع التاريخي والعلمي لان اسم العرب ورد منذ القديم في الكتابات البابلية والآشورية[١٤].

وينقل الدكتور هاشم الملاح عن (نولدكه) قوله ان ما ورد في التوراة عن أورد سام بن نوح لا ينبني على وجهة نظر لغوية ، كما انه غير مبني على علم بطبائع الشعوب وانما هو قائم على اعتبارات جغرافية وسياسية ، لذا اتسمت المعلومات التي وردت عن الشعوب التي تحدثت عن أولاد نوح بالانحياز وعدم الدقة[١٥].

وممن أيد هذا الرأي الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام ــ ج٢ ص ٢٨٧) فقال : إذا أردنا ان يكون كلامنا علميا او قريبا من العلم وجب علينا إهمال كلمة (الشعوب السلمية) و (الساميين) وتبديلها بكلمة (الشعوب العربية) و (العرب) لان هذه التسمية ملموسة المفهوم[١٦].

---

(١٣) العرب واليهود في التاريخ ــ د. احمد سوسة ــ ص ١٢٩ .

(١٤) المصدر نفسه .

(١٥) الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ د. هاشم الملاح ــ ص ٤٢ .

(١٦) العرب واليهود في التاريخ ــ المصدر السابق .

ويذهب اكثر المؤرخين الفرنج الى ان العرب والساميين شـــيء واحد ، فقال سبرنغر ان جميع الساميين عرب مستندا الى هجرتهم مـــن جزيرة العرب كلما امتلأت بهم او إجدبت على اثر انحباس المطر ، او كلما تشوق هؤلاء الأقوام الى ارض اخصب من الجزيرة العربية[١٧].

كما ذهب الدكتور طه باقر الى مثل هذا الرأي فقال ان التسـمية الشائعة أي الساميين واللغات السامية غير موفقة علـــى الرغـم مـــن شيوعها في الاستعمال . ولو اننا سمينا هذه اللغات بلغات الجزيـــرة او اللغات العربية ، والأقوام السامية بالأقوام العربية او أقوام الجزيرة لكان ذلك اقرب الى الصواب[١٨].

وحين ذكر هذه الأقوام المهاجرة والبحث عن هجرة الآراميين واستيطانهم في ارض الهلال الخصيب لابد من القــول ان اقــدم هــذه الجماعات المهاجرة هم الاكديون الذين تجمعوا في أول الأمـــر علـــى ضفاف نهر الفرات الغربية والأراضي السهلة في بلاد الشام ثم ازدادت أعدادهم بعد مرور مدة من الزمن نتيجة تكاثرهم ونزوح جماعات أخـو الى هذه المناطق . وصاروا يتنقلون حتى استقروا في شمال المنطقـــة التي يسكنها السومريون بين الفرات ودجلة فاحتكوا بهم واقتبسوا مـــن حضارتهم .

وكانت اللغة الاكدية هي اقدم اللغات لهذه الأقوام النازحة مـــن الجزيرة العربية والتي يمكن التمييز بينها بلهجاتها الخاصة بها . واللغة الاكدية هي اللغة التي تفرعت عنها بعدئذ اللغة البابلية واللغة الآشـورية

---

(١٧) المصدر نفسه .

(١٨) الوسيط ــ د. هاشم الملاح ــ نقلا عن (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) للدكتور طه باقر ــ ص ٦٧ .

وقد أدى زوال الحكم البابلي والآشوري الى ضعف اللغة الاكدية وزوالها فحلت محلها اللغة الآرامية .

اما الكنعانيون فقد استقروا في الساحل السوري وكانت لغتهم قريبة الشبه باللغة البابلية وهم من الأقوام القوية النشيطة التي استقرت في فلسطين وكانوا أول من استقر بها ، ونقلوا الى تلك المنطقة لغتهم وحضارتهم وأسسوا عددا من المدن مثل اريحا التي تعد الآن اقدم مدينة في التاريخ حافظت على وجودها بشكل متواصل ، وكذلك مدن جبيل وبيت بارح ومجدو[١٩].

ومن الأقوام التي تنتسب الى الكنعانيين الاوغاريتيون الذين انتشروا في شمال سوريا ، والمؤابيون الذين أسسوا لهم دولة في شرق الأردن في القرن العاشر قبل الميلاد[٢٠].

واللغة الكنعانية العربية التي انتقلت من جنوب الجزيرة العربية وجدت أبجديتها في منطقة جبل (بيبلوس) ولتي تعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وهي اللغة الاوغاريتية نفسها التي وجدت كتاباتها المسمارية في راس شمرة[٢١]. مما يدل على ان اصل هذه الأقوام واحد وان لغتهم كانت واحدة ثم تفرقت الى لهجات متعددة ، ويؤيد ذلك ما جاء في التوراة وهو ما يأتي : (وكانت الأرض كلها

---

[١٩] الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ـ فراس السواح ـ دمشق ١٩٩٣ ـ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ .

[٢٠] الدكتور هاشم الملاح نقلا عن كتاب (العصر الجاهلي) لشوقي ضيف ـ القاهرة ـ الطبعة الخامسة ـ ص ٢٣ .

[٢١] مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد السادس والعشرون ـ ١٩٧٥ ـ مقال للدكتورة باكزة رفيق حلمي بعنوان (العربية اصل والعبرية فرع) ص ١٨٤ .

لسان واحد ولغة واحدة .... وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحـــد لجميعهم .. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لســـان بعض . فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض)[٢٢].

وهنا يأتي السؤال : ما هو اللسان الواحد او اللغة الواحدة التـــي تفرقت في ارض بابل لى عدة لغات بعد ان (نزل) الرب وبلبلها ؟

تقول الدكتورة باكزة رفيق حلمي عن ذلك (إذا جـــاز لنـــا ان نعتبر إحدى لغات الجزيرة العربية ــ العربية ــ اما للغات هذه الأســـر جميعا لكانت العربية بلا شك هي هذه الام)[٢٣].

ثم جاءت موجات الآراميين مع انتهاء الألف الثاني قبل الميــلاد فحلوا في تلك المناطق محل الكنعانيين واقاموا فيها ممالكـــهم ونشـــروا لغتهم الآرامية وكانوا في الأصل قبائل بدوية متنقلة بأحمالها ومواشـــيها من مكان الى آخر وهي تعيش عيشة البداوة ويتكونون من عدة قبـــائل وعشائر ومنهم فرع باسم (احلامو) وهـــم يتجـــهون نحـــو الشـــمال ويتعرضون للدويلات الكنعانية وينشرون الفوضى والاضطـــراب فـــي جميع أجزاء بلاد الشام الجنوبية ، وهددوا غزة[٢٤]. واغلب الظن انـــهم من بقايا العرب البائدة ، من بقية عاد وثمود . فاما عاد فقد هاجرت الى اليمن وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم وذكر نسبها الى آرام بن سام ، وقد وصفها بانها كانت قد منحـــت دفعـــة العمـــاد والمنزلـــة الكبـــيرة

---

[٢٢] سفر التكوين ١١/١ .

[٢٣] مجلة المجمع العلمي العراقي ــ المجلد ٢٦ ــ مقال الدكتـــورة بـــاكزة رفيـــق حلمي ــ ١٨٦ .

[٢٤] الآراميون تاريخا ولغة وفنا ــ الدكتور علي ابو عساف ــ ص ١٦ .

فقال تعالى : (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العمـــاد)[٢٥]. ثــم تكاثرت هذه القبيلة وازدادت قوة ومنعة فتجبر أفرادها وعتوا فاهلكـــها الله واباد ملكها فتفرقوا في البلاد .

واما ثمود بن آرام فقد نزلت قبيلته ما بين الحجاز والشـــام[٢٦]. وقد أهلكها الله هي الأخرى[٢٧] وتفرق أفرادها أيضا ورحل أكثرهم الى الشمال ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم وعاداتهم البدوية لانهم تشـتتوا ولم يتصلوا بأقوام آخرين . وهذه القبائل أعطاها التنقل والحياة البدويـة القاسية قوة جسمانية ومقدرة على الصمود في الصحراء طوال قـــرون عديدة . ولم يكن اتصالهم الا ببعضهم في هـــذه الصحـــراء الشاســعة المترامية الأطراف حتى وصلوا الى مشارف الـــهلال الخصيـب فـــي العراق والشام وصاروا يتعرضون للقرى والمستوطنات التي أمامـــهم ويقطعون الطرق على القوافل التجارية حتى اشتكى منهم الآشـــوريون فاخذوا يوجهون الحملات العسكـــرية لمحاربتـــهم والقضـــاء علـــى تجمعاتهم . ولعل اقدم وثيقة ورد فيها ذكر (آرام) هي نقش أكدي يعـود الى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد يتحدث عن انتصار الملك الاكـــدي (نارام سين) ومعناه حبيب الرب سنة (٢٢٧٠ ـ ٢٢٣٣ق.م) على شيخ آرام ويدعى (خرشامتكي)[٢٨]. كما ورد اسم آرام بعد العصر الاكـــدي في وثيقة أخرى من فترة اور الثالثة (٢٠٥٠ ـ ١٩٥٠ق.م) في مدينـة دريهم في العراق من بين وثائق تجارية وفيها اسم (آرامي) ، ووثيقـة

---

[٢٥] القرآن الكريم ـ سورة الفجر ـ آية ٦ .

[٢٦] الأخبار الطوال ـ الدينوري ـ ص ٨ .

[٢٧] القران الكريم ـ سورة الأعراف ـ آية ٧٨ ـ ٧٩ .

[٢٨] الحدث التوراتي ـ ص ٢٧٧ .

أخرى من عهد الملك شوسن (٢٠٤٥ ــ ٢٠٣٧ق.م) ذكر فيها رجل اسمه (ارامو)[٢٩]. كما ان السجلات الملكية لمدينة ماري ورد اسم (آرام واحلامو) باعتبارهما قبائل متقاربة وكان أفرادها فيما مضى يردون الى مدينة ماري التي على الفرات للمتاجرة .

وقد ورد اسم قبيلة ثمود (التي قلنا انها من بقايا العرب البائدة ومن أولاد رام) في نص للملك سرجون الثاني (٧٢١ ــ ٧٠٥ق.م) يقول فيه (بناء على نبوءة صادقة من إلهي آشور سرت وقهرت قبائل ثمود وباديدي .. العرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء ، الذين لا يعرفون البحار ولا الرؤساء ولم يأتوا بجزيتهم لاي ملك)[٣٠].

وهكذا نجد ان الآراميين عرب متنقلون في الصحراء من بقايا العرب البائدة من نسل آرام لا يزالون يحتفظون بعاداتهم البدائية ، كما يحتفظون باسم (آرام) الذي يظهر على أفراد منهم بين حين واخر او على بعض مستوطناتهم مثل مدينة (آرامي) التي بالقرب من مدينة اشنونة الواقعة على دجلة والتي أسسها الآراميون عندما هاجروا الى بلاد سومر وهم أسلاف الآراميين الذين ظهروا على مسرح السياسة بعد ذلك بألف عام[٣١].

واثناء اجتيازهم الصحراء خلال عشرات القرون من الزمن توالدت أجيال كثيرة من الآراميين وانقرضت أجيال كثيرة غير ان عاداتهم البدوية وحب السطو والسيطرة والتمرد بقيت سائدة بينهم ،

---

[٢٩] الاراميون تاريخا ولغة وفنا ــ الدكتور علي ابو العساف ــ دمشق ١٩٨٨ ــ ص١١ .

[٣٠] الحدث التوراتي ــ ص ٢٩٠ .

[٣١] الآراميون تاريخا ولغة وفنا ــ ص١٢ .

فليس لهم نظام معين ولا يخضعون لرئاسة عليا ولا يدفعون الجزية لاحد كما يقول الملك سرجون الثاني عنهم ، ويعيشون في الصحراء بعيدا عن البحار .

ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد كثرت الوثائق التي تتحدث عن الأحلامو والآراميين وتشتكي من أعمالهم ، ففي رسالة موجهة من حاكم دلمون (وهي جزيرة البحرين) الى والي (نفر) المعروفة في منطقة سومر يشتكي هذا الحاكم فيها من (الاحلامو) الذين نهبوا تمور بلاده[٣٢].

والواقع ان بلاد بابل نفسها لم تكن في مأمن من تجاوزاتهم وخطرهم اذ كانوا يسببون المتاعب للحكام المحليين ويتدخلون في شؤونهم ويعيقون المواصلات بين مدنهم .

وعندما بدأ الآشوريون بالتوسع غربا كان الآراميون او الاحلامو مصدر ازعاج للاشوريين . وقد ورد في سجلات الملك تغلات بلاصر الأول (١١١٢ ــ ١٠٧٤ق.م) خبر محاربته لهم والقضاء عليهم فيقول (حاربت الاحلامو والآراميين ثماني وعشرين مرة حتى اني عبرت الفرات في سنة واحدة مرتين . ولقد قضيت عليهم من تدمر الواقعة في بلاد (اموروا)[٣٣] و (عانات = عانة) في بلاد (سومو) الى (ريبيقو) وعندما تولى الملك تغلات بلاصر الثالث العرش الآشوري (٧٤٥ق.م) اجتهد في معاونة جاره ملك بابل لاعادة السلام والأمن للمنطقة ، وتحرك صوب شرق دجلة لإخضاع القبائل

---

[٣٢] المصدر السابق ــ ص ١٣ .

[٣٣] الحدث التوراتي ــ ص ٢٧٨ .

العاصية وكان أول سنة ارتقائه العرش وجه حملته ضد القبائل الآرامية التي كانت تحيط بمدينة بابل من كل جانب[٣٤].

ويستفاد من رسالة تاجر اشوري اكتشف في مدينة دوركوريكالزو (عكركوف) عاصمة الكاشيين ان عصابة من الآراميين من آل حيرانة تساندها جماعة من آل خصمي حاولت التعدي على التجار فلاحقها ضباط آشوريون وقضوا عليها .

وفي الواقع لم يبق حاكم في المناطق المشار اليها الا وشكا من هؤلاء الآراميين . فهذا هو الملك الحتي (حاتو شيلى الثالث ١٢٨٢ ــ ١٢٥٠ق.م) يشكوهم الى ملك بابل لانهم جعلوا الطرق بين البلدين محفوفة بالمخاطر[٣٥].

وظهرت اجيال من الآراميين تتجول في أراضي الهلال الخصيب بين العراق وسورية لاسيما على ضفاف الفرات حتى منطقة كركميش (وهي مدينة جرابلس الحالية) في أعالي الفرات . وقد نسبت اليهم جبال بشري وكانوا قد أنشأوا فيها عددا من المدن الآرامية التي صارت هدفا للغزو الآشوري ، فكانوا يقصدونها بحملات عسكرية للقضاء على نفوذ الآراميين[٣٦].

وعند ملاحظتنا لهذه المدن الآرامية نجد ان هذه القبائل الرحلى الممعنة في البداوة أخذت تدريجيا بالاستقرار وممارسة الزراعة بعد ان تأثرت بحضارة الاموريين والكنعانيين الذين اختلطوا بهم واقاموا بينهم.

---

[٣٤] تاريخ العراق في القرن السابع قبل الميلاد ــ سامي سعيد الاحمد . بغداد ٢٠٠٣ منشورات بيت الحكمة ــ ص ٩٣ .

[٣٥] الآراميون تاريخا ولغة وفنا ــ ص ١٣ .

(36) E.A.Wallis Budge – L.W. King Anmoles of the Kings of Assyria) 1902 (p. 72 .

ثم اخذ الآراميون يحلون محل هذه الشعوب في وادي نهر العاصي في سورية بعد ان شعروا بضعفهم وتراجعهم وقد ظلوا محافظين على تجمعاتهم التي تضم عدة قبائل وعلى لغتهم الآرامية التي كانت من سعة انتشارها ان صار اسم الارامين يشمل كثيراً من الشعوب والقبائل والأقوام كالاشوريين والفرس والأرمن وامتدادا حتى البحر الأبيض المتوسط[٣٧]. واصبحت اللغة الآرامية أوسع اللغات القديمة انتشارا وكانت لها الغلبة في كثير من المناطق لاسباب نذكر منها :

١. انتشار القبائل الآرامية في جميع أنحاء الهلال الخصيب واتصالهم بشعوب هذه المنطقة بشكل واسع .
٢. سهولة الكتابة الآرامية لانها مكتوبة بالحروف وليس بالمقاطع كالكتابات المسمارية فاصبح من السهل تعلمها وكتابتها .
٣. تطور هذه اللغة مع الوقت واقتباسها من اللغات المجاورة .

وقد أصبحت اللغة الآرامية لغة ثانية لبعض الأقوام كالآشوريين بل انها استعملت لغة دولية آنذاك في المفاوضات بين الشعوب وهو ما حدث عند معاصرة القائد الآشوري (رب شاقي) للقدس عام ٧٠١ق.م. اذ طلب منه موظفو الملك (حزقيا) الإسرائيلي ان يخاطبهم باللغة الآرامية قائلين له (كلم عبيدك بالآرامي لاننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودية)[٣٨].

وتطورت المستوطنات والإمارات الآرامية مع انتهاء الألف الثاني قبل الميلاد الى مدن ودويلات آرامية ذات نفوذ / ثم استطاع

---

[٣٧] العرب واليهود في التاريخ ـ د. احمد سوسة ـ بغداد١٩٧٢ـ ص ٥٦، ٥٧ .

[٣٨] العهد القديم ـ سفر الملوك الثاني ١٨/٢٦ .

الفرع الكلدي الآرامي تثبيت أقدامه في الجزء الجنوبي من بلاد بابل واسس مملكة هناك هي التي عرفت بدولة الكلديين ولم تتوقف هجمات الآراميين عند هذا الحد بل أخذت تنطلق من بلاد بابل في جميع الاتجاهات مهددة بلاد اشور نفسها . ثم بدأت تظهر الدويلات الآرامية في المناطق البعيدة بين حلب وجبال طوروس حتى تمكن الآراميون من الاستيلاء أخيرا على دمشق فاقاموا فيها مملكة قوية وتذكر جميع المصادر .

ومملكة دمشق هذه كانت في أول الأمر تتبع مملكة (صوبه) الآرامية (وموقعها في سهل البقاع الشمالية في لبنان) ثم استقلت عنها . ويذكر كتاب العهد القديم ان شاؤل حارب في نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد جميع أعدائه ومنهم ملوك (صوبه) الآراميين[٣٩] ولكنه لم يذكر أسماء هؤلاء الملوك . واتسعت مملكة دمشق حتى امتدت الى الأراضي الآشورية شمالا والى منطقة الأردن جنوبا . وكان الذي أسس هذه المملكة التي هي وريثة مملكة صوبه هو (رزون بن ايل يدع) . وقد جاء في العهد القديم ان ملك يهوذا (٩٠٨ ـ ٨٦٨ق.م) قدم الفضة والذهب الى (برهدد الأول بن طبريمون) ملك دمشق الآرامي لينقذه من ملك إسرائيل . وقد سارع الملك الآرامي لنجدة ملك يهوذا[٤٠] فهاجم مملكة إسرائيل وسيطر على حوض الأردن حتى جبال الجليل .

اما مملكة بيت حياني الآرامية فعاصمتها مدينة (جوزن) قرب راس العين الى جوار منابع نهر الخابور وسميت باسم عشيرة بحياني

---

[٣٩] العهد القديم ـ سفر صموئيل الأول ١٤/٤٧ .

[٤٠] العهد القديم ـ سفر الملوك الأول ١٥/١٨ .

الآرامية وقد جاء ذكرها في حوليات الملك الآشوري (هـدد نـيراري الثاني ٩١٢ ـ ٨٩١ ق.م) حينما قاد حملته الخامسة عـام ٨٩٤ ق.م ودخل مدينة جوزن عاصمة هذه المملكة وارغم حاكمها (ابي سلامو) على دفع جزية كبيرة .

وفي مقابل هذه المملكة وعلى ضفاف نهر دجلـة كـانت تقـع مملكة (بيت زماني) ، وكلمة زماني هي اسم زعيم القبيلة الآراميـة الذي وصل الى تلك المنطقة واتخذ بلدة (اميدي) عاصمة لـه وهـي ديار بكر الحالية ولكن هذه المملكة هي الأخرى لم تنـج مـن غـزو الاشوريين فقد داهمها الملك الآشوري (تيكولتي نينورتا ٨٩١ ـ ٨٨٤ ق.م) واستبدل حاكمها بحاكم آرامي آخر اعترف بسـلطة الآشـوريين ولكنه لم يلبث ان تمرد واعلن العصيان عليـهم فجـرد عليـه الملـك الآشوري (نـاصر بـال الثـاني ٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م) حملـة قويـة لاخضاعه[٤١].

وكانت مملكة حماه بعد دمشق أقوى الممالك الآراميـة آنـذاك وهي تنسب الى عاصمتها حماه وكان أول ملوكها هو (توعي) الـذي كان في حالة حرب مع (هدد عزر) ملك صوبه . ثم خلفه ابنه يورام . ولكن خلفاءه تحالفوا مع جميع ممالك الشام المعادية للآشوريين للوقوف بوجههم ومحاربتهم . وكان الملك الآشوري شلمانصر الثالث قـد قـام بحملات متواصلة على هذه الممالك وكان يشن الغارات المفاجئة عليـهم بين حين واخر . فاتفق ملك حماه مع ملك دمشق وعشرة ملوك وامراء آخرين في تلك الأنحاء لتكوين جيش قوي يدخـل فـي معركـة ضـد

---

(٤١) الآراميون ـ د. ابو عساف ص ٢٣ ـ ٢٤ .

الآشوريين وهي معركة (قرقرة) وموقعها في جنوب بلدة جسر الشغور الحالية في شمال سورية وهي معركة حاسمة يذكرها الآشوريين في كتاباتهم[٤٢].

لقد كانت الممالك الآرامية آنذاك معاصرة لبعضها وهي إمارات صغيرة لا تقوى على الوقوف في وجه الجيوش الآشورية وهي كثيرة العدد . ففي المنطقة بين عجلون وبحيرة طبريا توجد خمس ممالك آرامية ولكن هذه الممالك أخذت تذوب وتختفي لانها ممالك قبائل وعشائر لاسيما بعد ان اخذ الآراميون في تنظيم أنفسهم اجتماعيا وسياسيا طيلة القرن الحادي عشر . وما ان اشرف ذلك القرن على نهايته حتى اصبح الآراميون على درجة من القوة والتنظيم بحيث تمكنوا من طرد الحاميات الآشورية من بعض مدنهم . ثم كان انقراض الدولتين الآشورية والبابلية فاصبح الآراميون أسياد المنطقة لا ينافسهم الا العرب العدنانيون الذين اتصلوا بهم واقتبسوا من لغتهم ومفرداتهم كما اقتبسوا منهم الخط الآرامي وهو الخط النبطي الذي تطور الى الخط العربي الحالي[٤٣].

ويذكر الطبري في تاريخه ان في زمن معد بن عدنان بن قيدار بن إسماعيل جد العرب المستعربة كانت هناك بقايا من قبائل طسم وجديس أولاد آرام من العرب البائدة[٤٤]. ومعنى ذلك ان العرب العدنانيين كان لهم وجود أثناء قيام الممالك الآرامية وكانوا يشاركون

---

[٤٢] الحدث التوراتي ــ فراس السواح ــ ص ٩٣ .

[٤٣] تطور الاعجام ــ د. عبد العزيز عبد الله ــ ص ١٤ .

[٤٤] تاريخ الرسل والملوك ــ محمد بن جرير الطبري ــ تحقيق الفضل إبراهيم ــ دار المعارف بمصر ج١ ، ص٢١٧ ، القاهرة ١٩٧٠ .

الآراميين في حياتهم اليومية . وقد ذكر الملك شلمانصر الثالث في أخبار معركة (قرقرة) المذكورة قبل قليل ان أحد الذين اشتركوا مع الآراميين في حلف حماه ودمشق امير عربي اسمه (جندب) شارك في المعركة بالف هجان (ألف جمل)[٤٥].

وعند ازدياد الهجرات العربية العدنانية تقلص نفوذ الآراميين وانتهى وجود الممالك الآرامية تماما بظهور الفتوحات الإسلامية كما تقلص ظل اللغة الآرامية ، واصبحت اللغة العربية الحالية هي اللغة السائدة في هذه المناطق فهي لغة القرآن وام اللغات والتي امتد نفوذها الى أنحاء بعيدة من العالم .

اما اللغة الآرامية فهي منذ القرن الثاني الميلادي اصبح يطلق عليها اسم اللغة (السورية) ثم تطورت التسمية الى (السريانية) وهي اللغة التي يتكلم بها في الوقت الحاضر سكان عدد من القرى في سورية والعراق والتي تقترب بعض كلماتها من مفردات اللغة العربية حتى وقتنا الحاضر ، ومثلها العبرية التي تخطط كلماتها بالكلمات العربية[٤٦] فتقترب هذه اللغات من بعضها .

---

[٤٥] الحدث التوراتي ــ ص ٩٣ ، والآراميون تاريخا ولغة وفنا ــ ص ٥٥ نقلا عن نص اشوري للملك شلمانصر (٨٥٩ ــ ٨٢٤ ق.م) .

[٤٦] تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ــ إسرائيل ولفنسون ــ القاهرة ١٩٢٧ ــ ص ٢٠ .

المصـــــادر

١. القرآن الكريم .
٢. التوراة : سفر التكوين .
سفر صموئيل الأول
سفر الملوك الأول
سفر الملوك الثاني
٣. تاريخ الرسل والملوك ــ محمد جرير الطبري ــ تحقيق محمد ابو الفضل ــ دار المعارف بمصر ــ بدون تاريخ .
٤. الأخبار الطوال ــ ابو حنيفة الدينوري ــ بـيروت ١٩٨٨ ــ دار الفكـر الحديث .
٥. العرب واليهود في التاريخ ــ الدكتور احمد سوسة ت بغداد ١٩٧٢ .
٦. الآراميون تاريخا ولغة وفنا ــ الدكتور علي أبو عساف ــ دمشق ١٩٨٨
٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ الدكتور جواد علي ــ بـيروت ١٩٦٨ .
٨. الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ الدكتور هاشم الملاح الموصـل ١٩٩٤ .
٩. محاضـرات في تاريخ العرب قبـل الإسلام ــ الدكتور صـالح احمـد العلي ــ الموصل ١٩٨١ .
١٠ . تاريخ العراق في القرن السابع قبل الميلاد ــ سامي سعيد الاحمـد ــ بغداد ٢٠٠٣ منشورات بيت الحكمة .
١١. الحدث التوراتي والشرق القديم ــ فراس السواح ــ دمشق ١٩٩٣ .
١٢. تطور الاعجام ــ الدكتور عبد العزيز عبد الله ــ الموصل ٢٠٠٣ .
١٣. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسـلام ــ إسـرائيل ولفنسون القاهرة ١٩٢٧ .

١٤. اللغة الاكدية ـــ الدكتور عامر سليمان ـــ الموصل ١٩٩١ .
١٥. علوم البابليين ـــ مرغريت روثن ـــ ترجمة الدكتور يوســـف حبـــي ـــ بغداد ١٩٨٠ .
16. E.A.Wallis Budge – L.W. King Anmoles of the Kings of Assyria) 1902 (p. 72 .

جهود علماء واسط في تواصل التعليم والحياة الفكرية في العهد الجلائري

أ. د. نوري عبد الحميد العاني
كلية التربية / ابن رشــد

الملخص :

على الرغم من الظروف القاسية التي شـــهدتها مدينــة واسط طوال العهدين المغولي والجلائري فقد ظلـــت مركــزا علميا يقصدها الطلبة والمثقفون للتعلم في مدارسها وعلى يـــد أساتذتها ومفكريها ، الذين تواصل نتاجهم الفكري فـــي شـــتى حقول العلم والمعرفة . وواصلت الثقافة العربيـــة الإســـلامية مسيرتها بفضل الحريصين على التراث وتسابقهم في تأســـيس المدارس ودور العلم من كتاتيب وزوايـــا وربـــط وتزويدهـــا بالكتب والأوقاف الوافرة للإنفاق عليها وعلى الطلبـــة . وقـــد أورد البحث أسماء بعض تلك المدارس وأسماء ومؤلفاتهم فـــي تلك الفتـــرة.

تمهيـد :

تعرض التعليم والحركة الفكرية في العراق لضغوط خارجية كثيرة بعد الاحتلال المغولي ثم الجلائري ، تمثلت تلك الضغوط بأعمال قتل العلماء وأسرهم ونقلهم الى الخارج وفرار الكثير منهم الى الاقطار العربية والاسلامية الاخرى . وباعمال مصادرة الكتب ونقلها الى خارج العراق ولا سيما الى إيران وأذربيجان وأواسط آسيا ، وبدخول اللغات الفارسية والتركية الى الإدارة ودواوين الحكومة ومحاولة إدخال القيم والأفكار الغربية إلى المجتمع .

وفي ظل تلك الظروف القاسية تمسك العراقيون بتراثهم الحضاري الإنساني وبثقافتهم العربية الإسلامية وسيلة من وسائل مقاومة التحدي الاجنبي . وذلك بإنشاء المدارس والمكتبات ومواصلة التعليم فيها وفي غيرها من المؤسسات العلمية المعروفة وبتأليف الكتب والتمسك بالقيم والتقاليد الموروثة . كل ذلك أدى الى تواصل التعليم والنشاط الثقافي والعلمي ولو بشكل اقل مما كانت عليه في عهد الازدهار . وقد شاركت واسط بقسط وافر من تلك المجهودات سنمهد لها بعرض موجز للحياة السياسية والاقتصادية للمدينة في تلك العهود .

الحياة العامة في واسط في العهد الجلائري :

عرفت واسط شانها شان مدن العراق الأخر التي احتلها المغول أعمال نهب وقتل وتخريب . ويذكر مؤرخ المغول رشيد الدين الهمداني ان المغول انزلوا أقسى العقاب بمدينة واسط بعد دخولهم اليها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م لأنها تحدتهم فقاموا بتخريبها وقتلوا نحو أربعين ألفا من اهلها[١]. ومع ما في هذا الرقم من مبالغة يقصد منها التخويف من

سطوة الجيش المغولي وقدرته فانه يدل دون أدنى شك على مدى الأضرار المادي والبشري التي ألحقها المغول بالمدينة وما حولها .

وتواصلت أعمال النهب والتخريب طوال سنوات حكمهم للمدينة ، وجعلوا إدارتها مشتركة مع البصرة بما في ذلك منطقة البطائح (الاهوار والمستنقعات) الممتدة بين المدينتين ، وأطلقوا عليها اسم الأعمال الواسطية والبصرية ، مثلما كان الحال في العهد السابق . وعينوا عليها سراج الدين بن البجلي صدرا (محافظا) ، ولم تمض سوى بضعة اشهر على هذا التعيين حتى اتهم ابن البجلي بتخريب واسط والبصرة وإهمال شؤونهما فتمت محاكمته فيما نسب إليه فثبتت التهمة عليه فصدر الحكم بقتله فقتل ، وعين بدله مجد الدين صالح بن الهذيل صدرا وأطلق عليه لقب ملك أي الحاكم وأعطي صلاحيات واسعة فشرع بإعادة تعمير ما تم تخريبه من واسط وبنى لها جسر يربط جانبيها جرى افتتاحه في مدة قصيرة ولم يكن للمدينة جسر منذ ان شيدت في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي.[٢]

وقد وصف ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م هذا الجسر بأنه قنطرة كبيرة مصنوعة على جسر من سفن يعبر عليها من جانب الى جانب[٣]. لكن الحاكم الجديد لم يستمر طويلا إذ طولب سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م بتقديم أموال كثيرة عجز عن تحصيلها من الناس فعذب واعتقل هو ونوابه واصحابه ثم عزل وعين بدله فخر الدين منوجهر الذي وضع نوابا عنه في المدينة لإدارتها وتحصيل أموالها ومع ذلك لم يستمر حكم الحاكم الجديد طويلا .

وفي سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩٠م قبض على عبد الرحمن بن تاشان حاكم واسط وطوق بالحديد ونقل الى بغداد وسجن فيها تمهيدا لقتله بسبب

كلام تفوه به وهو في حالة سكر ضد الوزير ، لكن وفاة السلطان الايلخاني وتولي آخر بدله وقتل الوزير أدى الى اطلاق سراحه وإعادته حاكما على واسط .[٤]

وهكذا كان التبدل السريع في الحكام قد ادى الى إهمال إدارة المدينة وتردي أحوالها شأنها شأن المدن العراقية الاخرى . وقد ظلت إدارتها متذبذبة لا تستند إلى أسس ثابتة فتارة تكون مشتركة مع البصرة وتارة اخرى تكون لها ادارة خاصة بها وبالمدن التابعة لها حتى بداية الحكم الجلائري[٥] ، إذ ازدادت أهميتها عندما اتخذها الجلائريون مقرا مؤقتا لحكومتهم قبل انتقالها الى بغداد سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٧م[٦]، وعهدت إدارتها الى احد الأمراء الجلائريين . وكان يحكمها في عهد السلطان أويس الجلائري الأمير قره محمد وكانت سلطته تمتد على جميع المدن والقرى التابعة لها[٧] ثم اعيد توحيد إدارتها مع إدارة البصرة مرة أخرى في عهد ولده حسين حيث حكمها أخوه احمد الذي كان يتنقل بينها وبين البصرة وكان فيها سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م .[٨]

بعد هذا التاريخ أخذت الفوضى تعم المدينة ونواحيها وسيطرت عليها العشائر ولاسيما بني أسد وعبادة التي هي بطن من عقيل وبرز نشاطهم في واسط والبطائح الجنوبية بين البصرة والكوفة وواسط تحت قيادة شيخها قبان بن صالح في العهد الجلائري[٩]. ثم جاء الغزو التيموري للعراق سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م الذي استهدف واسط أيضا لقربها من بغداد أولا ولغناها الاقتصادي وكونها منفذا لتجارة الخليج العربي بين البصرة وبغداد بواسطة نهر دجلة ثانيا . وكان هدف تيمور هو وضع يده على تلك التجارة فأنفذ حملة لإخضاع العشائر القريبة من واسط وإحكام سيطرته على المدينة ثم التقدم الى البصرة .

قاد الحملة محمد سلطان حفيد تيمور وسار قسم منها بواسطة المراكب في دجلة لكن العشائر العربية تصدت لهم وأغرقت المراكب وقتلت من فيها فأرسل تيمور حملة ثانية سارت مع ضفاف النهر واشتبكت مع العشائر في معارك ضارية تمكنت في النهاية من إخضاع واسط بعد ان تكبدت خسائر فادحة في الأرواح وتم تعيين محمد سلطان حاكما على واسط تساعده حامية عسكرية أما القوة الرئيسة فقد توجهت الى البصرة .[١٠]

ان حكم التيموريين لواسط لم يستمر طويلا بسبب طبيعة المنطقة وقوة التجمعات العشائرية فيها فتمكنت عشيرة عبادة استعادة سلطتها على المدينة والأنحاء المجاورة لها بقيادة شيخها اويس الذي ضم إليه العشائر القاطنة على ضفاف الغراف ومنطقة البطائح وراح يتحدى سلطة التيموريين وخاض معارك ضدهم عندما تكررت هجماتهم على واسط سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م وسنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م .[١١]

وعلى الرغم من اعمال القتل والنهب والتخريب التي تعرضت لها واسط طوال تلك العهود فقد ظلت إحدى المناطق الغنية اقتصاديا بسبب وفرة مياهها وجودة مناخها وانبساط أراضيها ووقوعها على طريق التجارة بين بغداد والبصرة فضلا عن قربها من مركز الحكم ببغداد . وقد أشار الى ذلك ابن الوردي عندما كتب خريدته في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فقال : ((واسط مدينتين على جانبي دجلة بينهما قنطرة (جسر) كبيرة الغربية تسمى كسكر والشرقية منها تسمى واسط وهما في الحسن والعمارة سواء)) وأضاف قائلا : ((وهما اعمر بلاد العراق وعليها معول ولاة بغداد)) .[١٢]

والشيء نفسه ورد عند زكريا بن محمد القزويني قاضي واسط في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله والذي ذكر ان واسط كثيرة الخيرات وافرة الغلات صحيحة الهواء عذبة الماء يفسد هواؤها باختلاف هواء البطائح وقال ((لن يرى أحسن منها صورة كلها قصور وبساتين ومياه وعيبها ان حاصلها يحمل الى غيرها))[١٣] ووصفها الرحالة العربي ابن بطوطة الذي مر بها سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م فقال ((مدينة حسنة الأقطار كثيرة البساتين والاشجار ((وتحدث عن نشاطها التجاري الواسع .[١٤]

أما المستوفي القزويني الذي كان مسؤولا عن الشؤون المالية ببغداد اواخر العهد ألايلخاني فيذكر ان القسم الأكبر من المدينة يقع في الجانب الغربي من دجلة وتكثر في المدينة واطرافها أشجار النخيل التي تجعل مناخها يميل الى العفونة بعض الشيء . وقد بلغ مقدار ما دفعته من الضرائب لخزينة بغداد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م (٤٨٨ , ٥٠٠) دينار[١٥] . لكن هذا المبلغ اخذ يتناقص شيئا فشيئا بسبب الإهمال وأعمال النهب والتخريب حتى إنها لم تدفع للخزينة سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م سوى مئة آلف دينار .[١٦]

ومن المدن والقرى التابعة لها إداريا النعمانية وهي قصبة تقع بينها وبين بغداد على طرف دجلة تحيط بها القرى وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات تكثر فيها اشجار النخيل [١٧] . ومنطقة قوسان التي هي مجموعة من القرى يبلغ عددها حوالي مئة قرية بين النعمانية و واسط على شط النيل الذي يصب في دجلة قرب النعمانية ومركزها قوسان ، وقد بلغ مقدار ما دفعته من الضرائب الى الديوان سنة ٦٣٦هـ / ١٣٣٥م نحو (٩٤٠٠٠) دينار .[١٨]

وتتبعها أيضا أم عبيدة (عبادة او معبدية) على مسيرة يوم من واسط وفيها قبر الولي احمد الرفاعي والولي أبي الوفاء . وقد زارهـــا ابن بطوطة وسلط بعض الضوء على أوضاعها ألاجتماعية وقـــال ان عرب بني أسد هم قطان هذه المناطق وان طعام الفقراء الذين هم غالبية السكان يتكون في الغالب من خبز الرز والسمك واللبن والتمر ، وذكـر ان في رباطها العظيم (الرواق) ثلاثة آلاف من الفقراء . وقدم وصفـا لحلقات الذكر " إذ تعد أحمال الحطب ثم تؤجج بالنـــار فيدخلـون فـي وسطها يرقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من يأكلها بفمـــه حتـــى تطفئ النار أجمعها ومنهم من يأخذ الحية العظيمة فيعض عليها بأسنانه على رأسها حتى يقطعه " .[١٩]

وفي الجانب الشرقي من دجلة تقع دير العـــاقول وهـــي بلـــدة صغيرة ينتسب اليها عدد من العلماء المشهورين كما سنرى . وهي تقع بين المدائن والنعمانية وتكثر فيها اشجار النخيل[٢٠] . وتشتهر كســـكر على الطرف الغربي من واسط بكونها مجمعا لمنتجات البطائح الممتـدة بين البصرة والكوفة وواسط وخاصة الرز الجيد والغلال المختلفة وينمو فيها القصب والقطن وتكثر فيها مصائد السمك وطيور الماء ويربى فيها الجاموس وألابقار والماعز والبط والدجاج[٢١] وهو الشيء الذي جعـــل من واسط مخزنا للغلال والمواد الغذائيـــة لتمويـــن بغـــداد و القـــوات المرابطة فيها حسب قول كـــــل مـــن ابـــن الـــوردي و زكريـــا بـــن محمد القزويني .

ولم تكن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وحدها التي تضررت من غزوات الأقوام الاجنبية ، بل امتد تأثيرها لينال الثقافـــة العربيـــة والحركة العلمية في المدينة أيضا . ذلك ان نصير الدين الطوسي وزير

هولاكو الذي وصل بغداد سنة ٦٦٢هـ / ١٢٢٣م انحدر الى واسط والبصرة وجمع كتبا كثيرة منهما ونقلها الى مراغة [٢٢] في أذربيجان حتى قيل انه جمع في المكتبة التي أنشأها هناك أكثر من أربع مئة ألف كتاب[٢٣] . هذا فضلا عن عمليات نهب الكتب التي تعرضت لها المدينة ونقل العلماء والمفكرين أثناء الغزو التيموري الى سمرقند وفرار الكثير منهم الى الأقطار العربية[٢٤] فتعرضت الثقافة العربية الإسلامية الى ألانكماش وفقدت واسط مركزها العلمي والثقافي الذي عرفته طوال العهد العباسي وتوقفت التدريسات في كثير من مدارسها ، إذ لم نعثر في المصادر التي تم الإطلاع عليها سوى على اسمي مدرستين تواصل التدريس فيهما في العهد الجلائري وهما : مدرسة الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي التي وصفت بأنها مدرسة عظيمة حافلة بالطلاب ، قدر ابن بطوطة عدد خلواتها بثلاث مئة خلوة لنزول الطلاب الغرباء الذين يأتون لتلقي العلم فيها وكان يعطي فيها لكل متعلم كسوة في السنة وتجرى له نفقة في كل يوم[٢٥] ، والمدرسة البرانية [٢٦] . فضلا عن استمرار التدريسات في الزوايا والربط والمساجد على ما يذكر ابن بطوطة .

وتشير المصادر أيضا الى اشتهار المدينة بصناعة ألأقلام من القصب الذي يكثر في المنطقة وهي الأقلام المعروفة بالواسطية التي كان يستخدمها الحكام الجلائريون في رسومهم وهو الفن الذي كان يجيده معظمهم[٢٧] . وقد ساعد ذلك على تواصل حركة نسخ وتأليف الكتب والتدريس ولو بصورة اقل مما كانت عليه في العهود السابقة إذ توفرت المدينة كما يقول ابن بطوطة على " أعلام يهدي الخير شاهدهم وتهدي ألاعتبار مشاهدهم وأكثر أهلها يحفظون القرآن الكريم ويجيدون

تجويده بالقراءة الصحيحة واليهم يأتي أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك".
ورفدت المدينة مدن العراق لاسيما بغداد ومدن الشام والحجاز واليمن بالعلماء والمفكرين الذين أجبرتهم ظروف القهر والتسلط الأجنبي الى الهجرة والعمل في تلك الأقطار . وشاركوا في تواصل الثقافة العربية ودعم مسيرتها من خلال التدريس والتأليف والعمل الإداري والمناصب الدينية من قضاء ووعظ وإفتاء واحتساب والتي تولوها في تلك الأقطار فضلا عن من بقي منهم في واسط واسهم في مقاومة التحدي الفكري الذي تعرض له العراق في تلك الحقبة . وفيما يأتي كشف بأسماء الأعلام والبيوتات العلمية في واسط ونشاطهم الثقافي والعلمي والكتب التي ألفوها والتي أوردتها المصادر المعاصرة .

علماء واسط وبيوتاتها العلمية :

أول البيوت العلمية الواسطية التي وردتنا إخبارها من العهد الجلائري أسرة تقي الدين عبد المحسن عمر بن علي بن معمر بن البكري صاحب المدرسة المعروفة باسمه . كان من أعيان أهل واسط وفقهائها يجلس في مدرسته مع إخوانه وأصحابه لتعليم القرآن وعلومه ، عرف بكرمه الزائد وإنفاقه على الطلبة وحرصه على فائدتهم(٢٨) ولم نقف على سنة وفاته .

وعلى طريقته نشا ولده عبد الرحمن الذي درس في واسط وفي بغداد واخذ من علمائها ثم رحل الى الشام وسمع من علماء دمشق وبيت المقدس وحج مرات وتعرف على علماء الحجاز ، ثم عاد الى بغداد ووعظ في البصرة وأخيرا عاد الى واسط كان فاضلا من أهل الفقه والوعظ والحديث كثير المحفوظ مشاركاً في الفنون وله نظم حسنٌ مواظبٌ على قضاء حوائج الناس وله عظمة في نفوس أهل واسط .

وقد أوردت المصادر بعضا من أشعاره[٢٩] واسهم في التأليف بكتاب سماه أللؤلؤة في الحديث[٣٠] ومات سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م . أما حفيده محمد بن عبد الرحمن فكان احد أساتذة بغداد في تدريس القراءات وعلوم القرآن والحديث في اواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) قرأ عليه كثيرون .[٣١]

ومن أبناء هذه الأسرة ايضاً الحسين بن عبد الله بن المعمر البكري الواسطي الصوفي وقد سمع من صفي الدين عبد المؤمن ومن يحيى بن عبد الله الواسطي . قدم دمشق وأقام بها وكان فاضلا صالحا مات بدمشق سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م[٣٢]. وأخوه عبد المحسن كان صوفيا في السمسياطية وكان قد وصل دمشق في حدود الأربعين وتوفي في العام نفسه (٧٧٥هـ) . أما عبد الرحمن بن الحسين المذكور نزيل دمشق فقد وصلها في حدود الأربعين أيضا وكان عالي الإسناد في كتاب الإرشاد للقلانسي ومات بدمشق سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م . ومنهم أيضا أبو بكر بن عبد المحسن المقرئ وكان فاضلا مشاركا في عدة فنون مات سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م[٣٣] . واحمد بن معمر البكري الذي اشتغل بالتدريس وكان يدرس الحديث بواسط في بداية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) .[٣٤]

ومن أعلام واسط المشهورين يحيى بن عبد الملك الواسطي ، تتلمذ على والده في واسط وأجاز له علماء بغداد . قرأ الفقه والأصليين والعربية وحدّث ببغداد مدة ثم عاد الى واسط ودرّسَ في المدرسة البرانية ، فيها صنف عدة كتب منها كتاب الناسخ والمنسوخ في علوم القرآن وكتاب مطالع الأنوار النبوية في صفات خير البرية ، برع في الفقه حتى أصبح " فقيه العراق في زمانه " تخرج على يديه كثيرون

ومات بواسط[٣٥] ٧٣٨هـ / ١٣٣٦م . ووصفت المصادر محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي بأنه (شيخ قدوة) عاش بواسط حتى سنة٧٣٨ دون ان تقدم شيئاً عن نتاجة العلمي او الثقافي . ولكنها وصفت محمد بن احمد بن علي بن غدير بـ (المقرئ) وقالت انه درس ببغداد وبمكة وكان ماهرا في القراءات عارفا بطرقها مستحضرا من فضلاء المحدثين[٣٦] مات سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م .

ولم تكن المرأة الواسطية بعيدة عن النشاط الثقافي في ذلك الوقت بل انها شاركت في الدراسة والتدريس ، إذ ورد اسم آمنه بنت ابراهيم بن علي الواسطية وكانت ممن تلقينَّ العلم على يد والدها بواسط وببغداد ثم غادرت العراق الى الشام وتوفيت سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م بدمشق[٣٧] ، الأمر الذي يدل على مشاركة نساء واسط في الحركة العلمية والثقافية . لكن المصادر التي اطلعنا عليها لم تقدم المزيد من المعلومات عن هذا الجانب .

وأنجبت المدينة عالما جليلا نال شهرة في التدريس في العراق وخارجه ذلك هو عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي التاجر . تميز بالقراءت فكان شيخ القراء بواسط منها اخذ علومه المبكرة وقرأ النحو في البصرة ثم رحل في طلب العلم الى دمشق والقاهرة ودرس فيهما واخذ من علمائها حتى صار احد العلماء المعدودين . درس ببغداد و واسط والبصرة والبحرين وهرمز وجزيرة قيس (كيش) ومكة والشام وغيرها من البلاد التي كان يسافر اليها لأجل التجارة والعلم فكان تاجرا سفاراً ألف عدة كتب منها : ـ

١ـ المختار في القراءات .

٢ـ الكنز في القراءات العشر جمع فيه كتابين من كتب القراءات المشهورة هما الارشاد والتيسير .

٣ـ الكفاية في القراءات العشر (نظم من ١٢٧٣ بيت) .

٤ـ روضة الأزهار في القراءات العشرة أئمة الأمصار (قصيدة من ١١٥٣ بيت) .

٥ ـ تحفة الإخوان في مآرب (آيات) القرآن .

٦ـ مقدمة في النحو هي اللمعة الجلية .

وصف بأنه شيخ العراق في زمانه كان أستاذا عارفا محققا فقيها مشهورا مات سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م .

ثم الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي المولود ببغداد نشأ بواسط وقرأ فيها ورحل الى مصر واخذ من علمائها وناب بالإمامة بالمسجد النبوي الشريف درس عليه كثيرون وكتبوا عنه ومات في العام نفسه أيضا .[٣٨]

ومن الأسر الواسطية التي اشتهر أبناؤها بالإقراء في واسط هي آسرة الديواني ومنهم علي بن أبي محمد بن أبي سعد بن عبد الله ، تلقى تعليمه ألأولي في واسط ثم سافر الى دمشق ودرس على علمائها ثم توجه الى الشرق ودرس في تبريز وفي شيراز وأصفهان وأخيرا عاد الى بلاده وتفرد بها فكان خاتمة المقرئين بواسط حسب قول المصادر المعاصرة ، كان استاذا ماهرا محققا صنف عدة كتب منها : ـ

١ـ جمع الاصول في مشهور المنقول في القراءات العشرة (قصيدة لامية) .

٢ـ شرح جميع الأصول في مشهور المنقول .

٣ـ روضة القرير في الخلف بين ألإرشاد والتيسير (قصيدة) .

٤ـ شرح روضة القرير .

٥ـ اللوامع في القراءات .

٦ـ أرجوزة في القراءات الشاذة .

مات سنة ٧٤٣هـ /١٣٤٢م .[٣٩]

وكان ولده احمد الذي تتلمذ على يديه من مدرسي واسط المشهورين في منتصف القرن الثامن الهجري . وعليه درس اللغوي المعروف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المشهور صاحب القاموس[٤٠] أما حفيده تقي الدين عبد الرحمن بن احمد فقد قرأ القراءات ودرس النحو ثم رحل الى القاهرة ودرس فيها وتصدر للإقراء هناك حتى أصبح شيخ القراء فانتفع به الناس وأجاز لكثيرين درّس للمحدثين بالشيخونية والقراءات بجامع ابن طولون في مصر وشارك في حركة التأليف بكتاب شرح الشاطبية ونظم غاية الإحسان وهي أرجوزة في النحو[٤١] وتوفي سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م .

ومن أدباء واسط المعروفين آنذاك محمد بن القاسم بن أبي البدر الواسطي الواعظ والشاعر . اشتغل بالفقه والأصول وقرأ القراءات على علماء واسط ومهر في الفن ونظم قصيدة في القراءات العشر وصف بأنه حسن الصوت بعيد الصيت في الوعظ انشأ خطبا ومدائح ببغداد في الجامع الذي أنشأه محمد بن الرشيد (جامع الفضل) . وأوردت المصادر جملة من أشعاره وقد مات بواسط سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م [٤٢]. ومنهم أيضا علي بن ابراهيم بن معتوق المعروف بابن الثردة وقد اشتهر بالشام بعد ان سافر اليها عدة مرات ووعظ فيها بالجامع الأموي . كان أديبا شاعرا ادّعى انه يمتلك ببغداد مكتبة تتوفر

على ألفي مجلدة مات بدمشق سـنة ٧٥٠هـ /١٣٤٩م وقد أوردت المصادر بعض أشعاره .[٤٣]

وكانت واسط حسب ما اوردته المصادر في العهد الجلائري مركزا علميا يقصده طلاب العلم من داخل العراق وخارجه . ويكفي ان نشير هنا الى ان ممن تلقى تعليمه فيها في ذلك العهد اللغوي المعروف مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط . فبعد ان درس بكازرون وشيراز الخط واللغة والأدب دخل واسط سنة٧٤٥هـ/١٣٤٤م وتتلمذ على شهاب الدين احمد بن علي الديواني المذكور في أعلاه . ثم انتقل الى بغداد ليواصل دراسته فيها وتولى ألإعادة بالمدرسة النظامية[٤٤] ، حتى سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م إذ غادر العراق .

ومن علماء واسط الذين وردتنا معلومات مقتضبة عنهم ابراهيم بن علي المعروف بابن عبد الحق الواسطي المتوفى سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م كان عالما فقيها محدثا ولي القضاء في مصر ودرّس بمدارسها وصنف مختصر السنن للبيهقي في خمس مجلدات كبار وكتاب المنتقى في الفقه وكتاب نوازل الوقائع وغيرها[٤٥] ومحمد بن طاهر الواسطي النقيب المحدث المتوفى سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م[٤٦] وابن المحروق الواسطي مدرس المستنصرية بعد سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م[٤٧] وعلي بن محمد بن يحيى بن اسعد الواسطي المعروف بابن الشيرجي الذي سمع من علماء الشام وحدث وسمع منه كثيرون ومات سنة ٧٥٨/١٣٥٦[٤٨]، واحمد بن عسكر الواسطي المقرئ الذي أقام ببغداد ومات سنة ٧٦٩/١٣٦٧.[٤٩]

وثمة عالم واسطي أخر اشتهر بالتدريس والتأليف في بغداد وبكثرة الطلاب الآخذين عنه ذلك هو عمر بن علي بن عمر الواسطي المقرئ

المحدّث إمام جامع الخليفة بغداد . تلقي علومه الأولية في واسط وفي بغداد وحدث كثيرا وكتب بخطه وتعين معيدا لدار القرآن بالمدرسة البشيرية في الجانب الغربي من بغداد ودرس بالمدرسة التقتية بباب الأزج في الجانب الشرقي أيضا . وصفته المصادر بالحافظ الكبير ومحدث العراق وشيخ بغداد . تتلمذ على يديه كثيرون منهم الفيروز آبادي وسعيد بن عبد الله الدهلي والوزير رشيد الدين الهمداني المؤرخ والطبيب . وكان قد أجاز له جماعة بالشام ودرّس فيها وصنف عدة كتب منها الفهرست وقد أجاد فيه حسب قول من ترجم له وكتاب التجويد وكتب لنفسه مشيخة ومات ببغداد سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م[٥٠] .

وعلى طريقته نشأ ولده محمد الذي أصبح هو الآخر إمام جامع الخليفة ببغداد ، حدّث عن أبيه وغيره واشتغل على كبر الى ان صار (مفيد البلد) مع اللطافة والكياسة وحسن الخلق ، وكان يجتمع عنده خلق كثير[٥١] مات سنة ٧٧٥هـ / ١٣٤٩م .

ولم تكن العلوم الدينية وحدها مجال اهتمام علماء واسط بل ان عددا منهم أبدعوا في العلوم الدنيوية أيضا، إذ ذكرت المصادر اسم مؤرخ واسطي هو محمد بن الحسن بن عبد الله لكنها لم تذكر شيئا عن مؤلفاته التاريخية التي يبدوا أنها في عداد الكتب المفقودة، وذكرت هذه المصادر انه كان بارعا في الفقه والاصول والآداب . رحل الى الشام ومصر وكتب الكثير بخطه الحسن نسخا وتأليفا وتصنيفا ومن مؤلفاته : ـ

١ـ مختصر الحلية لأبي نعيم الاصفهاني في مجلدات سماه مجمع الأحباب .

٢ـ تفسير كبير .

٣ـ شرح مختصر ابن الحاجب في ثلاث مجلدات .

٤ــ كتاب في أصول الدين .

٥ــ الرد على الاسنوي في تناقضاته .[٥٢]

مات بدمشق سنة ٧٧٦هــ / ١٣٧٤م . وكان محمد بن علي بن الحسن الحسيني الواسطي المتوفـــي سـنة ٧٦٥هـــ / ١٣٦٤م مــن المؤرخين البارزين درس بدمشق وصنف عددا من الكتب التاريخية منها الذيل على كتاب العبر للذهبي من سنة ٧٤١هــ الى سنة ٧٦٢ (مطبوع) وذيل تذكرة الحفاظ للذهبي أيضا (مطبوع) وكتاب الإكمال في ذكر من له رواية في مسند احمد من الرجال ممن ليس فــي تــهذيب الكمـــال ، وتعليق علـــى المـيزان ومختصـــر الزكـــي والتذكـير فـي رجـــال الكتب العشر .[٥٣]

وبرزت في المدينة أسرة علمية أخرى عرف أبناؤها بعلومــــهم الدينية والدنيوية فضلا عن التدريس في مدارس بغداد تلك هي أسرة آل العاقولي اللخمية التي أخذت اسمها من دير العاقول القريبة من واســـط والتي قطنها أجدادهم . وقد سميت المحلة التي استقروا بها في بغـــداد باسمهم (العاقولية) ولهم فيها مدرسة ومسجد . عرفت الأسرة بكبيرها جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثـــابت الواســطي المشهور بابن العاقولي مفتي العراق وشيخ المستنصرية . ســمع مــن علماء بغداد ومهر في العلم والفتيا حتى قيل انه أفتى نحو ستين ســـنة ودرّس بالمستنصرية مدة قاربت أربعين سنة . باشر الأوقاف وتعيـــن لقضاء القضاة ولم يقبل كانت له وجاهة في الدولـــة الايلخانيـــة يحـل مشاكل الناس بوجاهته توفي سنة ٧٢٨هــ / ١٣٢٧م ودفن بداره التـــي أوقفها على شيخ وعشرة صبيان يتعلمون القرآن والتي عرفـــت بــدار القرآن الجمالية في محلة العاقولية بالجانب الشرقي من بغداد وأوقـــف

جمال الدين أملاكه على تلك الدار . كان قوي النفس ولم يكن يومئذ من يضاهيه في علومه وعلو مرتبته حسب قول من ترجم له ولكننا لم نعثر على أسماء مؤلفاته .

اشتهر بعد وفاته ولده محي الدين محمد وسعى فـــي تحصيــل العلم حتى صار مفتي العراق وصدره ومدرس بغداد وعالمـــها . اخــذ تعليمه الأولي عن والده ثم درس على علماء بغداد وظهر نبوغه منـــذ وقت مبكر حتى ان والده كان يقول ((ولدي أوتي العلم صبيا)) . كان فاضلا فقيها مُفَننا صاحب فضائل وعقل وافر اشتغل وحصــــل علــى مشيخة المستنصرية والافادة بها عند والده والاشراف على خزانة الكتب ودرَس بالنظامية أيضا . فلما توفي والده ترك ذلك كله ولــم يتعــرض لطلب التدريس ولازم الاشتغال بالعلم والفتوى ورحل الى دمشق ثم عاد الى بغداد كان حسن العبارة يروي الشعر ويكثر من حفظه متقنا لكتــاب الله حفظا وتلاوة في العلوم الشرعية والأدبية والرياضية حساباً مــبرزا قوالا للحق يصارح بقوله الرؤساء والسلاطين من غير تحاش بأحســن عبارة انتهت إليه رآسة العلم والتدريس ببغداد حســـب مــا ورد فــي المصادر عنه(٥٤) مات سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م .

وعلى النهج نفسه نشأ ولده غياث الدين محمد الذي صار هـــو الآخر صدر العراق ومدرس بغداد وعالمها ورئيس العلماء بالمشــرق . ولد ببغداد وسمع من والده وأجاز له علماء بغداد ودرَس بالمســتنصرية كأبيه وجده ودرَس هو بالنظامية وغيرها وانتهت إليه مشــيخة العلــم والتدريس ببغداد(٥٥) . وكانت مدرسة القرآن الجمالية التي أنشأها جــده بدرب الخبازين قد تهدمت سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م بسبب فيضان كبــير غمر أجزاء واسعة من بغداد فأعاد بناءها وأضاف اليها مسجد ورتـــب

لها الأوقاف الوافرة وتولى التدريس فيها مثل أبيه وجـــده[٥٦] . ومــن مآثره أن وزير بغداد في زمانه أراد أن يهدم إيوان كســرى ليســتخدم آجره في بناء مدرسة بغداد ولكن غياث الدين منعه من ذلك ودفع لـــه ثمن الآجر من ماله الخالص . وكان مثل أبيه وجده قــد انتــهت إليــه مشيخة العلم والتدريس ببغداد حتى صار المشار إليه والمعــول عليــه ((تهرع الوزراء الى بابه والسلطان يخافه)) . كان بارعا في الحديـث والمعاني والبيان نفسه قوية وفهمه جيد بالغا في الكرم حتى ينسب الــى الإسراف يدخله كل عام ما يزيد على مئة ألف درهم وينفقها كلها فـــي وجوه الخير ، وكان إماماً عالما متبحرا في العلوم غايــة فــي الذكــاء حسبما ذكر عنه معاصروه .[٥٧]

وفضلا عن ما تميز به من علم ومكانة اجتماعية رفيعـــة فقــد كانت له مواقف سياسية معارضة للحكم ألأجنبي أدت الى اضطــهاده . فلما هاجم تيمور وأتباعه بغداد سنة ٧٩٥هـــ / ١٣٩٣م غادرها غيــاث الدين الى تكريت مع عدد من وجوه بغداد وأعيانها بعد ان نهب الغــزاة أمواله وسبوا حريمه وتوجه الى الشام . ويبدوا انه كان ساخطا علـــى السلطان احمد جلائر أيضا بسبب سياسته المتــهورة وعــدم اســتعداده لمواجهة الغزو التيموري . وفي الشام اجتمع بالسلطان أحمد الذي لجــأ هو ألآخر اليها وعادا سوية الى بغداد في السنة التالية بمساعدة الحكومة المصرية والعشائر العربية . لكن غياث الدين لم يمكث في بغداد ســوى خمسة اشهر إذ توفي فيها سنة ٧٩٧هـــ / ١٣٩٥م . ويقول ابن الفرات وهو مؤرخ معاصر لم يكن في بغداد من يماثله ولا يضاهيه في علومه وعلو مرتبته ووصفه بأنه عالم العراق[٥٨] درس وافتـــى وبــرع فـــي الحديث والفقه والآداب والعربية وشارك في الفنون ومن مؤلفاته : ـــ

١ــ شرح مصابيح السنة للبغوي .

٢ــ خرج لنفسه أربعين حديثا .

٣ــ شرح مناهج البيضاوي .

٤ــ شرح الغاية القصوى في فقه الشافعية .

٥ــ الرد على الرافضة .

٦ــ قصائد عديدة منها (عدة الوحيد وعمدة التوحيد) .

٧ــ الدراية في معرفة الرواية .

٨ــ مشيخة .

حدّث بمكة وببيت المقدس والقاهرة والمدينة المنورة ودمشق وحلب[٥٩] وغيرها . ومن البيوتات الواسطية التي تواصل عطاؤها الفكري في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وبداية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) أسره عمر النجم الواسطي المعروف بالسكاكيني مدرس المدرسة الثقتية ببغداد وكان عالما جليلا[٦٠] ولكننا لم نعثر على تاريخ وفاته ولا اسماء مصنفاته . لكن المصادر تذكر ان ولده عبد القادر كان يدرس النحو والفرائض بالمدرسة النظامية ببغداد وانتفع به الطلاب في غير ذلك من العلوم . وعندما دخل تيمور بغداد نقله مع اسرته الى عاصمته سمرقند مع عدد كبير من علماء بغداد والمدن العراقية الاخرى[٦١] ويبدو انه توفي هناك .

أما ولده محمد الذي ولد بواسط ، بعد سنة ٧٥٧هــ / ١٣٥٦م فقد اشتغل ببغداد وقرأ على والده وعلى آل العاقولي وعلماء بغداد منهم محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن الواسطي وعلى أساتذة مدرسة مرجان التي تعين للتدريس فيها . ثم رحل في طلب العلم . ولما هاجم

تيمور وإتباعه بغداد كان ممن وقف ضدهم فاستولوا على مكتبته وعلى (مقروء آته ومسموعاته واجازاته حتى لم يبق له شيء منها) ونقلوها معهم الى سمرقند . أما هو فقد غادر الى الحجاز وجاور بمكة وقرأ فيها وأجيز . واخذ من الفيروزبادي صاحب القاموس . ثم عاد الى العراق وتصدى بها للإقراء ثم دخل دمشق وزار بيت المقدس سنة ١٤١٢/٨١٥ وقرأ بها وأجيز أيضا ثم غادر الى مكة سنة ١٤٢٦/٨٣٠ واستقر بها حتى وفاته سنة ٨٣٨/ ١٤٣٣ . وصف بكونه عالما صالحا متواضعا حريصا على نفع الطلبة مشهورا بخبرة كتاب الحاوي وحسن تقريره ومهر في القراءات والفقه والنظم درس بالحرمين الشريفين وأفتى فيهما وانتفع به كثير من الطلبة . له مؤلفات في القراءات والأدب منها : ـ

١ـ شرح المنهاج الأصلي .

٢ـ تخميس البردة وبانت سعاد سماه تنفيس الشدة وبلوغ المراد في تخميس بانت سعاد .

٣ـ قصيدة من نحو أربعين بيتا فيما وقع من النهب بالمدينة المنورة .

٤ـ نظم التتمة في القراءات العشر وشرحها باختصار .

ومن عمل في مصر والشام من علماء واسط سنقر بن عبد الله الواسطي وكان مولى الحسين الواسطي . وقد سمع من علماء الشام كان كثير الصدقات والتودد مواضبا على الجماعة مات سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م[٦٢] ولم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها شيئا عن نتاجه الفكري . ومحمد بن علي بن ابراهيم الواسطي الواعظ الأديب كان احد الصوفية بالبيبرسية كانت له أشعار نادرة وجيدة مات بالقاهرة

سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م[٦٣] وإبراهيم بن عبد الله الواسطي احد من كان يعتقد فيهم بالقاهرة مات سنة ٧٩٢ / ١٣٨٩.[٦٤]

وفي مطلع القرن التاسع الهجري وصلتنا أسماء علماء من واسط بشكل موجز دون ان تقدم تفصيلات عن أعمالهم او مؤلفاتهم أو حتى أماكن عملهم مثل بدر الدين عبد الجبار المجد الواسطي محدث واسط وفقيهها ، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن يحيى الواسطي ، كان أبوه من المحدثين أما هو فقد نشأ تاجرا فدخل اليمن واستوطن عدن كان حسن المفاكهة والنادرة يحفظ الشعر مات سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م . ومنهم علي بن محمد بن يعيش الزين الواسطي الذي قرأ على علماء واسط وبغداد ودرّس بالشام وبالمسجد الأقصى واذن له بالإفتاء كان زاهدا عالما مات بعد سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م واحمد بن محمد بن أبي بكر الواسطي الذي سمع بالشام وبالقاهرة التي أقام فيها عشرين سنة فتبادر الناس الى السماع منه وأكثروا في الأخذ عنه مات بالقاهرة سنة ١٤٣٢/٧٣٦ وآخر هم يوسف الجمال أبو المحاسن الواسطي تلميذ نجم الدين عمر السكاكيني له مؤلف سماه الرسالة المعارضة واختصر الملحة نظما[٦٥] ولم نعثر على مكان عمله ولا تأريخ وفاته .

الهوامش والمصادر

١ـ رشيد الدين الهمداني ، جامع التواريخ ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين ، القاهرة ١٩٦٠م[٢] ج[١] ص٢٩٦ .

٢ـ عبد الرزاق بن ألفوطي (منسوب له) كتاب الحوادث الجامعة ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١، ص٣٣٠ـ٣٣٨ .

٣ـ عمر بن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب (القاهرة ١٩٣٩) ص٤٧ .

٤ـ الحوادث الجامعية ص٣٤٩ـ٤٦٤ .

٥ـ نوري عبد الحميد العاني ، العراق في العهد الجلائري ، بغداد ١٩٨٦ ، ص٤٥ .

٦ـ عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي ، التأريخ الغياثي تحقيق طارق نافع الحمداني ، بغداد ١٩٧٥ ، ص٧٥ .

٧ـ حافظ آبرو ، ذيل جامع التواريخ رشيدي ، تحقيق خانبا بياني ، طهران ١٣١٧ ، ص١٩٢ .

٨ـ عبد الرحمن بن خلدون كتاب العبر ، بيروت بلا ٥/ ١١٧١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أنباء الغمر بأبناء العمر : تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١/٢٦٢ـ٢٦٦،٢/٤٦٥ .

٩ـ ابن خلدون العبر ، ٦/٢٥ .

١٠ـ عبد الرحيم بن الفرات ، تأريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت ١٩٣٨ ، ج٩ ق٢ ص٣٤٨ .

١١ـ شرف الدين علي اليزدي ، كتاب ظفر نامه ، بتصحيح محمد عباسي ، طهران ١٣٣٦ ، ٢/ ٢٦٦ ، ٢٧٨ .

١٢ـــ خريدة العجائب . ص٤٧ .
١٣ـــ زكريا بن محمد القزويني أثار البلاد وإخبار العبـــاد ، بـيروت ١٩٦٠ ، ص٤٧٨.
١٤ـــ محمد بن ابراهيم بن بطوطة ، رحلة بـــن بطوطـة ، بـيروت ١٩٦٤ ، ص١٨٣ .
١٥ـــ حمد الله المستوفي القزويني ، نزهت القلـــوب ، تحقيــق كــآي لسترانج ، ليدن ١٩١٣ ، ص٤٧ .
١٦ـــ عبد اله بن محمد بن كيا المازندراني رسالة فلكيه در علم سياقت بتصحيح والتر هينتس ، ويس بادن ١٩٥٢ ، ص٩٢ .
١٧ـــ نزهت القلوب ، ص٤٦ ، أثار البلاد ، ص٤٦٩ .
١٨ـــ نزهت القلوب ، ص٤٣ .
١٩ـــ رحلة ابن بطوطة ، ص١٨٣ .
٢٠ـــ عبد المؤمن بن عبد الحق ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنـة والبقاع ، تحقيق محمد علي البجاوي ، القاهرة ١٩٥٤ ، ٥٦٧/٢ ، نزهت القلوب ، ص٤١ .
٢١ـــ أثار البلاد ، ص ٤٤٦ ؛ مراصد الإطلاع ، ١١٦٥/٣ .
٢٢ـــ الحوادث الجامعية ، ص٣٥٠ .
٢٣ـــ عباس العزاوي ، تأريخ علم الفلك في العراق ، بغـــداد ١٩٥٨ ، ص٣٥ ، ١٠٣ .
٢٤ـــ نوري عبد الحميد العاني ، الثقافة العربية ومراكـــز العلـم فـي العراق في العهد الجلائري ، مجلة دراسات للأجيـــال آب ١٩٨٤ ، ص٣٤ .
٢٥ـــ رحلة ابن بطوطة ، ص١٨٣ .

٢٦ــ ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائــــة الثامنــة تحقيق محمد سياد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٥/١٩٤ .

٢٧ــ دولتشاه بن علاء الدولة بختشياه تذكرة الشعراء تصحيــح ادوارد براون ، ليدن ١٩١٠ ، ص٢٦٢ .

٢٨ــ رحلة ابن بطوطة ، ص١٨٣.

٢٩ــ محمد بن رافع السلامي تأريخ علماء بغـــداد المســمى منتخــب المختار ، صححه عباس العزاوي ، بغداد ١٩٣٨ ، ص٨٤ ؛ الدرر الكامنة ، ٢/٤٣٥ .

٣٠ــ نخبة من الباحثين العراقيين حضارة العــراق ، بغـداد ١٩٨٥ ، ١١/٧٤ .

٣١ــ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهــل القــرن التاسع ، بيروت بلا ، ٧/ ٢٧، ٨/٦٨ .

٣٢ــ محمد بن محمد بن الجزيري ، غاية النهاية في طبقات القــراء ، عني بنشره برجستر اسر ، القاهرة ١٩٣٢ ، ١/ ٣٦٧ .

٣٣ــ انباء الغمر ، ١/٨٣ ــ ٨٧ ، ٢٠٤ .

٣٤ــ الضوء اللامع ، ٦/٢٧ .

٣٥ــ الدرر الكامنة ، ٥/١٩٤ .

٣٦ــ نفسه ٣/٣٧١،٤٣٣ .

٣٧ــ نفسه ، ١/٤٤١ ، عباس العزاوي تأريخ العراق بين احتلاليــن ، بغداد ١٩٣٦ ، ٢/٣٧ .

٣٨ــ الدرر الكامنة ، ٢/١٠٣ ، ٣٧٦ ، المنتخب المختار ص٦٩ .

٣٩ــ ابــن الجزيــري ، المصــدر الســابق ، ص٥٨١ ، الـــدرر الكامنة ٢/١٧٩ .

٤٠ـ الضوء اللامع ، ٧٩/١٠ .

٤١ـ انباء الغمر ، ٢٠٣/١ ، عبد اللحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، بيروت بلا ، ٢٧١/٦ .

٤٢ـ محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١ ، ٥٧٨/٢ ، الدرر الكامنة ، ٢٦٠/٤.

٤٣ـ فوات الوفيات ، ٨٣/٢، الدرر الكامنة ، ٧٦/٣ .

٤٤ـ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، القاهرة ١٣٨٣ ، مقدمة المحقق محمد علي النجار ، الضوء اللامع ، ٧٩/١٠ .

٤٥ـ يوسف جرجيس الطوني ، جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر ١٢٥٨ ـ ١٤٠٠ رسالة دكتوراه كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٩٠ ، ص١٣٥ .

٤٦ـ الدرر الكامنة ، ٧٩/٢ .

٤٧ـ ناجي معروف تأريخ علماء المستنصرية ، بغداد ١٩٥٩ ، ١٨٨/١ .

٤٨ـ الدرر الكامنة ، ١٩٦/٣ .

٤٩ـ ابن الجزيري المصدر السابق ، ٨٢/١ .

٥٠ـ نفسه ص٥٩٤ ، منتخب المختار ، ص١٥٩ ، الدرر الكامنة ، ٢٥٦/٣ .

٥١ـ انباء الغمر ، ٦٨/١ .

٥٢ـ نفسه ، ٩٠/١ ، شذرات الذهب ، ٢٤٤/٦ .

٥٣ـ محمد بن علي بن الحسن الحسيني ، من ذيول العـبر ، ٧٤١ ـ ٧٦٤ ، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب ، الكويت بلا ، والطوني ، المصدر السابق ، ص١٩٠ .

٥٤ـ منتخب المختار ، ص٧٤ ، ١٨٥ ، الدرر الكامنـة ، ٤٠٥/٢ ، ١٠٢/٤ .

٥٥ـ شذرات الذهب ٣٥١/٦ ، العزاوي ، تاريخ العراق ، ٢٢٠/٢ .

٥٦ـ معروف ، تأريخ علماء ، ٢٣٤ ، ٣٧٦ .

٥٧ـانباء الغمر ، ٥٠٥/١ .

٥٨ـ تأريخ ابن الفرات ج٥ ص٣٤٨ـ٤٢٣ .

٥٩ـ ابناء الغمر ٥٠٥/١ ، شذرات الذهب ٣٥١/٦ ، معروف تـأريخ العلماء ١٣٥/١ .

٦٠ـ ابناء الغمر ٥٦١/٣ ، الضوء اللامع ٦٧/٨ .

٦١ـ الضوء اللامع ١٩٨/٤ ، العاني ، الثقافـة العربيـة ، المصـدر السابق ص٣٦ .

٦٢ـ ابناء الغمر ٣٤/١ ، ٥٦٤/٣ ، الضوء اللامع ، ٦٧/٨ .

٦٣ـ الدرر الكامنة ١٧١/٤ ، العزاوي تاريخ العراق ١٤٥/٢ .

٦٤ـ ابناء الغمر ٤٠٣/١ .

٦٥ـ الضوء اللامع ١٠٦/٢ ، ١٥٢/٤ ، ٢٧/٦ ، ٣٣٨/١٠ .

الفُلْكُ والسَّفينةُ في القرآن الكريم

دراسة لغوية مقارنة

(الجزء الثاني)

الدكتور أحمد جواد العتّابي

كلية التربية ــ الجامعة المستنصرية

الملخص

يعرض البحث لدراسة الآيات التي وردت فيها ألفاظ الفلك والسفينة والجواري ، دراسة لغوية تعتمد على التحليل اللغوي من حيث بناء العبارة القرآنية صرفا ، ونحوا ، وصوتا وسياقات .

يقع البحث في قسمين ، يضم القسم الأول الفصل الأول الذي يتناول آيات الفُلك موزعة بين مباحث تسعة . ويعرض القسم الثاني الذي يضم الفصلين الثاني والثالث .

إذ يتناول الفصل الثاني الآيات التي وردت فيها لفظة السفينة ويتناول الفصل الثالث الآيات التي وردت فيها لفظة (الجواري) ومصاحباتها .

وفي أثناء البحث هناك موازنة بين وصف الفلك الذي ورد في كتب التفسير ، ووصفها الذي ورد في الكتاب المقدس وتفاسيره . من حيث القياسات الهندسية ، ومادة صنعها .

الفصل الثاني

(السفينة) في الاستعمال القرآني

ورد ذكر (السفينة) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم ، وهي :

١ ـ في سورة الكهف / ٧١ (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً) .

٢ ـ وفي السورة نفسها / ٧٩ (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصباً) .

٣ ـ وفي سورة العنكبوت / ١٥ (أَنْجَيْنَاهُ وَأَصحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) .

ويبدو أن دلالة السفينة في آيتي الكهف معروفة ليس بها حاجة الى توضيح ، ويكفي أنها كانت (لمساكين يعملون في البحر) ، فهي سفينة متواضعة ولكنها صالحة للعمل ، شأنها شأن السفن التي يتخذها أصحابها وسيلة لكسب العيش عن طريق الصيد أو النقل أو الحمل .

أما في آية العنكبوت فدلالة السفينة عند المفسرين هي (الفلك) التي حملت نوحاً (عليه السلام) وأهله ومن معه . وفي ذلك نظر لأن الاستعمال القرآني لا يعضد ما ذهب اليه المفسرون ، إذ إن القرآن الكريم فرّق بين دلالة الفلك ودلالة السفينة . ويظهر ذلك جلياً في أثناء المواضع والسياقات التي وردت فيها كلتا اللفظتين . ولو أجرينا موازنة بين مواضع استعمال الفلك ومواضع استعمال السفينة لوجدنا فرقاً كبيراً في الاستعمال والدلالة وعلى النحو الآتي :

استعمال الفلك	استعمال السفينة
وردت ثلاثاً وعشرين مرة	وردت ثلاث مرات
ترد في السياقات الآتية :	ولم ترد إلا في سياقين ،
٢ ــ في سياقات آيات الله تعالى الدالة على عظمته ، الروم /٤٦ لقمان /٣١ ، يس / ٤١	الأول في سياق قصة موسى والعبد الصالح الذي خرق السفينة التي تعود لمساكين يعملون في البحر والثاني في سياق الأخبار عن نوح (عليه السلام) بالانجاء ، وانجاء أصحاب السفينة .

٣ ــ في سياقات تسخير الظواهر الطبيعية الكبرى ، الأرض والسموات ،والليل والنهار والبحر والرياح والمطر والفلك ، إبراهيم /٣٢ النحل/ ١٤ الحج / ٦٥ ، الجاثية /١٢

٤ ــ في سياقات قصة نوح (عليه السلام) وحادثة الطوفان ، الأعراف / ٦٤ .
يونس / ٧٣ هود / ٣٧ ــ٣٨ ، المؤمنون / ٢٧ ، ٢٨

٥ ــ في سياقات الركوب والنقل ،
يونس / ٢٢، الاسراء / ٦٦ ، المؤمنون / ٢٢ ، العنكبوت /٦٥
الروم / ٤٦ ، لقمان /٣١
فاطر / ١٢ ، يس٤١/ ، غافر /٨٠
الزخرف / ١٢ .

هذه الموازنة تكشف لنا أن الاستعمال القرآني خصّ الفلك بمواضع وسياقات تختلف كثيراً عن المواضع والسياقات التي وردت فيها لفظة السفينة . ولذلك يكون المراد بـ (أصحاب السفينة) في آية العنكبوت ليس الذين ركبوا الفلك مع نوح (عليه السلام) . لأن الذين ركبوا الفلك مع نوح (عليه السلام) . مرتبطون به أشد الارتباط ـ كما يدل على ذلك الاستعمال القرآني ـ فكل المواضع التي ذكرت نجاة نوح (عليه السلام) كانت تذكر أصحابه بـ (والذين معه في الفلك) أو (ومن معه في الفلك) وهذان التركيبان على قوة الإشارة في اسم الموصول (الذين ، ومن) وقوة الارتباط بالمعيّة (معه) ، وانتسابهم اليه فضلا عن طريق الضمير العائد في (معه) ، إذ لم يرد في القرآن الكريم (فأنجيناه ومن معه في السفينة) أو (والذين معه في السفينة) فدلّ ذلك أن (أصحاب السفينة) غير (والذين معه في الفلك) وغير (ومن معه في الفلك) . ويبدو ـ والله أعلم ـ أن (أصحاب السفينة) إنما هم مجموعة مؤمنة صالحة كانوا يركبون في سفينة في أثناء الطوفان فأنجاهم الله . ويبدو ـ والله أعلم ـ أن السفينة كانت تسير بمحاذاة الفلك العملاقة لتحتمي بها من أهوال الأمواج العظيمة . وبذلك جعلهم الله بنجاتهم بسفينتهم آية للعالمين .

نخلص من ذلك أن الفلك التي وردت في الاستعمال القرآني ليست بمعنى السفينة ولا هي مرادفة لها يلاحظ في الاستعمال القرآني أن هناك واسطة أخرى للنقل وردت بصيغة الجمع (الجواري) وقد خصها القرآن الكريم بمواضع معدودة وسياقات خاصة ، سنعرض لها إن شاء الله في المبحث القادم .

الفصــل الثالــث

المبحث الأول

استعمال (الجواري) في القرآن الكريم

وردت لفظة (الجواري) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

١ . في قوله تعالى(ومِن آياتِهِ الجوارِ في البحرِ كالأَعلامِ) الشورى/٣٢.

٢ . في قوله تعالى (وله الجوارِ المنشـــآتُ فـــي البحـــرِ كـــالأعلامِ) الرحمن / ٢٤ .

٣ . وفي قوله تعـــالى (فـــلا أُقسِـــمُ بِـــالخُنَّسِ . الجَـــوَارِ الكُنَّـــسِ) التكوير / ١٦ .

ودلالة (الجواري) في آيتي الشورى والرحمـــن علـــى السـفن واضحة أما في آية التكوير فمختلفة إذ لا علاقة لــــها بـــالبحر ، ولذلك يكون البحث في آيتي الشورى والرحمن هو المراد .

يلاحظ في تركيب الآيتين ما يأتي :

١ . أن القرآن الكريم عدّ هذه الجواري التي في البحر مـــن آيـــات الله سبحانه .

٢ . أن هذه الجواري تحكم بعلاقة الملك لله سبحانه وتعالى شأنها شـــأن المخلوقات والصفات التي ينفرد الله بملكيتها .

٣ . ملازمة الجار والمجرور (في البحر) لها ، لتقييدها بهذا الظرف .

٤ . ملازمة الجار والمجرور (كالاعلام) لها ، لتقيدها بهذه الصفة .

٥ . يلاحظ بعض الاختلاف في نظم الآيتين وعلى النحو الآتي :

آية الشورى	آية الرحمن
١ ـ صُدّرت بـ (ومن آياته)	١ ـ صُدّرت بـ (وله)
٢ ـ التركيب يتألف من :	٢ ـ التركيب يتألف من :
(الجوار + في البحر + كالاعلام)	(الجوار + المنشآت + في البحر + كالاعلام) بزيادة (المنشآت)

ومن حيث الرسم فان لفظة (الجواري) وردت محذوفة الياء على غير قياس لأن ياء (الجواري) وأمثالها تثبت مع (أل) إلا أنها في ثلاثة المواضع وردت محذوفة الياء .

ويبدو أن سياق الآيتين مختلف ، فسياق آية الشورى جاء في معرض تعداد بعض آياته سبحانه (ومن آياته) ثم فصل القول عن أحوال هذه (الجواري) في الآيتين التاليتين (إن يشأ يُسكن الريحَ فيَظللْنَ رواكدَ على ظَهْرِه إن في ذلك لآياتٍ لكلّ صبارٍ شكور . أو يُوبقْهنّ بما كَسَبوا ويعفُ عن كثير) ٣٤ ـ ٣٥ .

ويلاحظ في النص ما يأتي :

١ . أن (الأعلام) لم ترد إلا جمعاً مجروراً بالكاف ، ولم يرد منها المفرد .

٢ . في الآية التي تلي آية (الجوار) نجد لفظاً مقابلاً للفظة (الجوار) في قوله تعالى : (فيظللن رواكد) ، فهذه علاقة تقابل بين (جوار) و (رواكد) .

٣ . لفظة (رواكد) في الاستعمال القرآني لم ترد إلا في هذا الموضع إذ لم يرد منها المفرد ولا الفعل ولا الاسم .

٤ . ويلاحظ أن آية (الرواكد) صدرت بـ (إنْ) الشرطية التي ترد

في المواضع التي يندر وقوعها أو المشكوك فيها وهذا يتسق مع سياق الآية إذ إن إسكان الريح من الأمور النادرة بخلاف حركة الريح وهبوبها ولا سيما في الملاحة البحرية .

٥ . قوله (على ظهره) فالضمير عائد على البحر والجار والمجرور متعلق بـ (رواكد) . والركود على الظهر يدل على أعلى درجات السكون ، ولذلك عدّها القرآن الكريم من آيات الله سبحانه لمن صبر وشكر .

٦ . لفظة (يوبقهن) لم ترد في الاستعمال القرآني إلا في هذا الموضع ، وقد اسند الايباق إلى الله سبحانه ، وأُوقعَ على (الجوار) . والايباق عند اللغويين والمفسرين معناه الإهلاك . وإهلاك (الجوار) يعني أهلاك من عليها بدليل عودة الضمير في (بما كسبوا) .

والإهلاك لا يكون إلا لذي روح ، كالإنسان والحيوان والنبات ، أما الجمادات فلا تهلك وانما تدمرّ وذلك بتنزيل (الجوار) منزلة من عليها لأن مصيرهم مرتبط بمصيرها فإذا سلمت سلموا وإذا أغرقت هلكوا .

ويبدو ان هناك فرقاً بين الإهلاك والايباق جاء في تهذيب اللغة (وبقت الإبلْ في الطين ، إذا وحلِت فَنَشبتْ فيه ، وبَقَ في ذنبه ، إذا نَشب فيه فلم يتخلص منه .[1]

أما آية الرحمن فقد جاء في سياق تعداد ما في البحر من نِعم (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام فبآي آلاء ربكما تكذبان) ٢٢ ــ ٢٥ .

---

[1] تهذيب اللغة ٩ / ٣٥٤ .

والنظم في آية الرحمن يختلف عن النظم في آية الشورى وذلك بزيادة (المنشآت) . وهذه اللفظة لم ترد إلا في هذا الموضوع . وقيل في معنى المنشآت أقوال ، منها أنها : المرفوعات الشرع ، من أنشأ الله السحاب فنشأ ينشأ أي : ارتفع[٢] ومعنى المنشآت المرفوعات الشرع[٣] و [٤] .

وقيل : الفاعلات . وقيل الباديات وقيل : ما رفع قلعةً من السفن ، فأما ما لم يرفع قلعة فليس بمنشآت[٥] .

أو (يوبقهن يحبسهن يعني الفلك وركبانها)[٦] . يفهم من ذلك ان الايباق أن تنشب السفينة الجارية في البحر فلا تتخلص منه كأنها تحبس كالإبل التي تقع في الوحل فلا تستطيع خلاصاً . وهذا المعنى أنسب الى سياق الآية وبذلك يكون فيه معنى الهلاك الذي لا خلاص منه ، وبذلك يختلف معنى الإهلاك عن الايباق . ويلاحظ في تركيب الآيتين ان الاستعمال القرآني خصّ ألفاظاً معينة في بناء الآيتين ، منها (الجوار) المحذوفة الياء ومنها (المنشآت) التي لم ترد إلا مرة واحدة ، ومنها (الأعلام) .

ولو عدنا إلى مرادفات هذه الألفاظ نلحظ ان القرآن الكريم قد استعمل اللفظ في مكانه المناسب . فقد استعمل (الجوار) بدلاً من الفلك أو

---

[٢] العين ٦ / ٢٨٨ .

[٣] معاني القرآن وأعرابه ٥ / ١٠٠ .

[٤] الكشاف / ١٠٧١ .

[٥] الدر المنثور ٧ / ٦٩٨ .

[٦] تهذيب اللغة ٩ / ٣٥٤ .

السفن ، واستعمل (المنشأت) بدلاً من (المرفوعـــات) ، واســتعمل (كالاعلام) بدلاً (كالجبال) .

فالجواري : جمع جارية وقد وردت لفظة (الجارية) في القرآن الكريـم في موضعين . الأول في قولهِ تعالى : (إنا لمّا طَغَا الماءُ حملناكُم فــي الجارِيَةِ) الحاقة / ١١ . والثاني في قولهِ تعالى : (فِيها عَينٌ جَارِيَــةٌ) الغاشية / ١٢ .

وتجمع (الجارية) على الجاريات وقد وردت في موضع واحد في قوله تعالى (فالجَارِيَاتِ يُسراً) الذاريات / ٣ .

والجريُ في اللغة العربية : مرّ سريع كمرّ الماء على وجه الأرض)[٧].

ويبدو أن هنالك فرقاً بين دلالة الجمع على (الجواري) والجمع علــى (جاريات) يقول ابن يعيش (فأما جمع السلامة فأنه يجــري مجــرى علامة الجمع من الفعل فكل ما كان أقرب الى الفعل كـــان مــن جمــع التكسير أبعد)[٨] .

ويقول الرضي (اعلمْ أن الأصل في الصفات أن لا تكسير لمشـــابهتها الأفعال .. ثم إنهم مع هذا كله كسرّوا بعض الصفـــات لكونـــها أســـماء كالجوامد وان شابهت الفعل)[٩] .

(فاتضح بهذا ان الجمع السالم يدل على إرادة الحدث والتكسير يبـــاعده عن ذلك)[١٠] . وبذلك يتبين الفرق بين دلالـــة (الجــواري) ودلالـــة الجاريات .

---

[٧] الجمان في تشبيهات القران / ١٢١ .

[٨] شرح المفصل / ٥ .

[٩] شرح الرضي على الشافية ٢ / ١١٦ .

[١٠] معاني الأبنية / ١٤٦ .

أما الفرق بين (المنشآت) و (المرفوعات) ، فقد فـــرّق الاســتعمال القرآني بينهما إذ إن السياقات التي وردت فيها مادة (أنشأ) تختلف عن السياقات التي وردت فيها مادة (رفع) ، فالإنشاء شيء والرفع شـــيء آخر ، إذ ان الإنشاء ورد في سياقات الخلق والإيجاد أو إعادة الخلــق ، أما الرفع فيقع على شيء مخلوق أو موجـــود . فدلالـــة (المنشـــآت) تتضمن معنى الخلق والإيجاد وتلك من الأمور التـــي اختـــص بـــها الله سبحانه .

أما الفرق بين (الأعلام) و (الجبال) ، فالجبل (اسم لكل وتـــد مـــن أوتاد الأرض إذا عظم وطال[11] .

أما العلم فالجبل الطويل ، والعلم : الراية ، والعلم : علم الثوب ورقمه ، والعلم : ما ينصب في الطريق[12] ، وبذلك يتضح ان وصف (الجوار) وتشبيهها (كالاعلام) له دلالة تختلف عن وصفها وتشبيهها (كالجبال) إذ إن وصفها (كالاعلام) يتضمن معنى الطول والراية وما ينصب في الطريق ليهتدي به ، فكأن كل هذه المعاني مرادة . بخـــلاف الوصـــف (كالجبال) فلا يستفاد منه إلا معنى العظمة والطول .

---

[11] العين ٦ / ١٣٦ ، القاموس المحيط / ٩٨٨ .

[12] العين ٢ / ١٥٢ .

المبحث الثاني

استعمال لفظة (الطوفان) في القرآن الكريم

وردت لفظة ((الطوفان)) في القرآن في موضعين :

الأول : في سورة الأعراف / ١٣٣ ((فَأَرسَلنا عليهم الطوفَانَ والجَـراد والقُمَّلَ والضفادِع)) .

الثاني : في سورة العنكبوت / ١٤ ((فَلَبثَ فيهم ألفَ سنة إلا خَمسِـينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطّوفَانُ))

وفي ضوء الاستعمال القرآني فإن لفظة ((الطوفان)) لم تصاحب لفظة الفلك ولا السفينة ، ولا الجواري ، بل أن السياقات التـي وردت فيـها تختلف عن السياقات التي وردت فيها ألفاظ الفلك والسفينة والجـواري ، ومن اللافت للنظر أن سورة نوح (عليه السلام) لم ير فيها ذكرٌ للطوفان ولا الفلك ولا السفينة ولا الجواري ، وإنما ورد اللفـظ (أغرقـوا) فـي الآية ٢٥(مِمَّا خَطيئاتِهم أغرِقُوا فَأُدخِلُوا نَاراً فَلَم يَجِدوا لَهُم مِن دُونِ اللهِ أنصَاراً) .

والطوفان في اللغة ، (من كل شيء ما كان مُطيفـاً بالجماعـة كلـها كالغرق الذي يشتمل على المدن الكبيرة يقال فيه طوفان ، وكذلك القتـل الذريع والموت الجارف طوفان)[١٣] .

وجاء في القاموس المحيط (الطُوفان بالضم ، المطر الغالب ، والمـاء الغالب يغشى كل شيء ، والموت الذريع الجارف ، والقتـل الذريـع .. والطّوفان من كل شيء : ما كان كثيراً مُطيفاً بالجماعة)[١٤] .

---

[١٣] معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٤٣٧ .

[١٤] القاموس المحيط / ٨٤٩ .

في كتاب الدر المنثور (الطوفان : الموت ... وقيل : الغرق .. وقيلى : المطر)[١٥] .

يتضح مما تقدم أن دلالة الطّوفان لا تنحصر بطغيان الماء وفيضانه ، بل لها دلالات منها الموت الذريع والقتل الذريع والجارف والغرق والمطر .

ففي آية الأعراف تكون دلالة الطّوفان على الموت والقتل أنسب إلى السياق من دلالة الغرق وطغيان الماء . لأن الآية جاءت في سياق قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون وسعيه (عليه السلام) إلى إخراج بني إسرائيل من مصر ، ولم يحدث وقتئذ طُوفان ، فضلاً عن أن الألفاظ المصاحبة للطوفان التي هي (الجراد ، والقُمّل والضفادع والدم) لا ترجح دلالة الغرق وطغيان الماء .

أما آية العنكبوت فدلالة الطوفان على الغرق واضحة لأنها جاءت في سياق قصة نوح (عليه السلام) .

---

[١٥] الدر المنثور ٣ / ٥٢٢ .

المبحث الثانـــي

((لفظـــــة مواخـــــر))

وردت لفظة ((مواخر)) مصاحبة ((الفلك)) في موضعين فقط :

الأول : في قوله تعالى ((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البحرَ لتأكلوا مِنه لَحْمَاً طرياً وتَسْتخرِجُوا مِنهُ حليةً تَلبَسُونَها وترى الفُلكَ مواخِر فيهِ ولِتَبتَغـوا من فضلهِ ولعَلَّكم تشكُرونَ)) النحل / ١٤ .

الثاني : في قوله تعالى ((وما يستوي البَحران هذا عذبٌ فراتٌ ســـائغٌ شرابهُ وهذا مِلحٌ أجاج ومن كلٍ تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونَها وترى الفُلكَ فيه مواخر لِتَبتغُوا من فَضلِهِ ولَعلَّكــم تشــكُرونَ)) فــاطر / ١٢ . والمواخــر فــي اللغــة مـــن (مخرتُ السفينة مخراً ومخوراً فهي ماخرة وهــن مواخــر إذا استقبلت بها الريح)[١٦] .

وعند الفرّاء (ومخرُها : خرقـــها للمـــاء إذا مـــرّت فيــه ، واحدهــا ماخرة)[١٧] . وعند أبي عبيدة (فواعل) من (مخَرتِ السفينةُ المــاء) ومعناها شقت[١٨] . وقيل (تمخر الماءَ إذا شقت المـــــاء)[١٩] . وقيــل (نشق الماءَ بجؤجؤها مستقبلةً له)[٢٠] .

وعند الزمخشري (المخر : شق الماء بحيزومها ، وعن الفراء هـــو : صوت جري الفلك بالريح) وذكر أيضاً (المواخـــر : شــواق للمــاء بجريها يقال مخرت السفينة الماءَ ويقال للسحاب بنات مخرٍ لأنها تمخــر

---

[١٦] العين ٤ / ٢١٦ .

[١٧] معاني القران ٢ / ٣٦٨ .

[١٨] مجاز القرآن ٢ / ١٥٣ .

[١٩] إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٦٧ .

[٢٠] مفردات ألفاظ القران / ٧٠٤ .

الهواء . والسَفَن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر ، لأنها تسفنُ الماء كأنها تقشرهُ كما تمخره)[٢١] وفي كتاب الدر المنثور (المواخـو : الجواري .. وقيل : تمخرُ السفن الرياحُ ولا تمخرُ الريح من السفن إلا الفلك العظام ... وقيل تشق الماءَ بصدرها ... وقيل السفينتان تجريانِ بريح واحدة . كل واحدة مستقبلة الأخرى ... وقيل تجري بريح واحدة مقبلة ومدبرة)[٢٢] .

وجاء في القاموس المحيط (مخرت السفينة : جرت أو استقبلت الريح في جريها .. والمواخر : التي يسمع صوت جريها ، أو تشق الماء بجاجِئها أو المُقْبِلَةُ والمُدْبِرة بريح واحدة)[٢٣] .

يتضح مما تقدم أن المخر حركة فيها صوت يدل على احتكاك جسمين عظيمين هما الفلك من جهة ، والماء والريح من جهة ثانية . ولذلك قيل في معناه (المواخر : التي يسمع صوت جريها) أو (صوت جري الفلك بالرياح) .

ولا تأتي لفظة (المواخر) مصاحبة للسفينة في الاستعمال القرآني وكذلك لا تأتي مصاحبة (الجواري) ولا توصفان بها .

وفي تركيب الآيتين يلاحظ ما يأتي :

١ . أن موضوع الآيتين جاء في سياق تعداد النعم التي أودعها الله سبحانه في البحر وتسخيره لمنفعة الإنسان ففيه اللحم الطري ، وفيه الحلية ، وفيه الفلك المواخر .

---

(٢١) الكشاف / ٨٨٣ ، ٥٦٩ .

(٢٢) الدر المنثور ٥ / ١١٧ .

(٢٣) القاموس المحيط / ٤٩٧ .

٢ . أن نظم الآيتين يتفق كثيراً في قوله (وترى الفلكَ مواخرَ فيه ولتبتغوا من فضلهِ ولعلّكم تَشكرون) إلا أن النظم في آية فاطر فيه تقديم وحذف ، إذ قدّم الجار والمجرور (فيه) (وترى الفلك فيه مواخر) وحذف حرف الواو (لتبتغوا من فضله) وجاء الفعلان (تأكلون ، وتستخرجون) بإثبات النون .

وفي ذلك يقول الكرماني (وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا) ما في هذه السورة جاء على القياس ، فإن الفلك المفعول الأول لترى ، مواخر المفعول الثاني ، و(فيه) ظرف وحقه التأخر . والواو في (ولتبتغوا) للعطف على لام العلة في قوله (لتأكلوا منه) . وأما في الملائكة (فاطر) فقد قدم (فيه) لموافقته لما قبله ، وهو قوله (ومن كلّ تأكلون لحماً طرياً) فوافق تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل ولم يزد الواو على (ولتبتغو) لأن في (لتبتغوا) هنا لام العلة ، وليس بعطف على شيء قبله ، ثم إن قوله (وترى الفلك مواخر فيه) في هذه السورة و(فيه مواخر) في فاطر اعتراض في السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحدّ الخطاب (فيه) ، وهو قوله (وترى) وقبله وبعده جمع وهو قوله (لتأكلوا ــ وتستخرجوا ــ ولتبتغوا) وفي الملائكة (تأكلون ــ تستخرجون)[٢٤] .

٣ . أن نظم الآيتين صدّر بـ (وترى) وهذا التركيب شائع في الاستعمال القرآني ومثله (ولو ترى) . والغالب في (ترى) هذه هي (رأى) البصرية ولذلك نحن لا نتفق مع الشيخ الكرماني في أن (ترى) في الآيتين ــ موضوع البحث ــ نصب مفعولين ، وانما هو مفعول واحد (الفلك) و(مواخر) منصوبة على الحال ، وهذا أبلغ هنا

---

[٢٤] أسرار التكرار / ١٢٢ .

من التعدية الى مفعولين ، لأن المعنى يكون على المشاهدة ليكون الأمـو معلوماً علم مشاهدة وليس استدلالاً .

٤ . أن آية النحل جاءت في سياق التسخير (وهو الذي سخرّ البحـــر) وهذا ينسجم مع الاستعمال القرآني الذي اسند تسـخير الفلـك الـى الله سبحانه في مواضع كثيرة كما مرّ بنا (وسخرّ لكم الفلك لتجـري فـي البحر بأمره) أما آية فاطر فقد جاءت في سياق نفـي الاسـتواء بيـن البحرين في عذوبة الماء وملوحته .

٥ . الضمير (فيه) يعود على البحر في آية النحل وقـد جـاء علـى القياس ، إذ إن البحر ذكر أول الآية (وهو الذي سخرّ البحر) . أما في آية (فاطر) فالضمير يعود على أحدهما وهو (وهذا ملـحٌ أجـاج) ؛ لأن استخراج الحلية منه ، وكذلك الفلك فإنها لا تكون مواخر إلا فيه .

٦ . أما الوصل في النحل (ولتبتغوا من فضله) والفصل فـي فـاطر (لتبتغوا من فضله) .

فيقول الكرماني (واو في (ولتبتغوا) للعطف على لام العلة في قولـه (لتأكلوا منه) ... ولم يزد الواو على (لتبتغوا) لأن اللام في (لتبتغوا) هنا لام العلة ، وليس بعطف على شيء قبله)[٢٥] .

ويبدو أن الكلام في آية النحل مبني على التعليـل ولذلـك ذكـرت لام التعليل مرتين ، ووصل الكلام بها مرتين (وتستخرجو منـه حليـة) (ولتبتغوا من فضله) . أما في آية فاطر فلم يبينَ الكلام على التعليـل وانما بني على نفي استواء البحرين فجاء الوصل جملة مع جملة ثم ترك هذا الوصل لغرض التعليل الذي أغنى عن حرف العطف .وسياق آيـة النحل جاء عقب الكلام على وسائط النقل ، فذكر الأنعام التـي تحمـل

---

[٢٥] أسرار التكرار / ١٢١ .

الأثقال وذكر الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة ثم ذكر (الفلك) وهي واسطة من وسائط النقل أيضاً . فوصل لتعليل ابتغاء الفضل بالواو .

أما في آية فاطر فالكلام كان على البحر وأنواعه وما أودع الله فيه من نعم ، ولم يكن هناك تعليل أو بيان سبب فترك الوصل . واستغنى عن العطف .

٧ . يلاحظ آن الآيتين ختمتا بقوله تعالى (ولعلكم تشكرون) وفي ذلك يقول الزمخشري (وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة . ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل : لتبتغوا ولتشكروا)[٢٦] .

الخاتمة

تبيّن في أثناء البحث أن الاستعمال القرآني لم يستعمل ألفاظ (الفلك والسفينة والجواري) على أنها ألفاظ مترادفة ، بل إنه استعمل كل لفظ في مكانه المناسب . فقد فرّق القرآن الكريم بين دلالة الفلك والسفينة والجواري ، إذ لا يمكن أن نطمئن إلى ما يردده المفسرون في كتبهم من أن الفلك هي السفن وان الجواري هي السفن فقد أثبت البحث بما لا يقبل الشك أن الفلك في الاستعمال القرآني يدل على نوع خاص من وسائط النقل البحرية يختلف كثيراً عن دلالة السفينة التي خصها الاستعمال القرآني بسياقات ومواضع معينة يستدل بها على أنها السفينة المعروفة قديماً وحديثاً .

---

[٢٦] الكشاف / ٨٨٣ .

وكذلك فرق الاستعمال القرآني بين الفلك والجواري ، إذ إن المواضع التي وردت فيها ألفاظ (الجواري) تؤكد أنها من وسائط النقل البحرية التي تختلف كثيرا عن الفلك ومن الجدير بالملاحظة ان لفظتي (الزورق والمركب) لم ترد في القرآن الكريم .

لقد ورد في القرآن الكريم وصف خاص للفلك التي حملت النبي نوحا (عليه السلام) وأهله ومن معه ، ولم يرد مثل هذا الوصف لأنواع الفلك الأخرى ، إذ إن فلك نوح (عليه السلام) (ذات ألواح ودسر) وأنها صنعت بعناية الله ووحيه وقد كان هناك تطابق كبير بين النص القرآني ونص الكتاب المقدس ، إلا أن نص الكتاب المقدس فيه تفصيل كبير ودقيق ولا سيما ذكر القياسات الهندسية لبناء الفلك ، ويبدو أن هذا الوصف وما زيد عليه انتقل إلى كتب التفسير والمفسرين فجاءت القياسات متطابقة تقريبا .

أن البحث حرص كثيرا على تحليل النصوص القرآنية تحليلا لغويا على وفق مستويات الدرس اللغوي المعروفة إذ من خلال هذا التحليل استطاع البحث أن يصل إلى رأي علمي في أن الفلك والسفينة والجواري ليست ألفاظا مترادفة ، وإنما هي ألفاظ لها دلالاتها الخاصة .

المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الكتاب المقدس .

٣ ــ أسرار التكرار في القران / الكرماني / تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ط ٢/ ١٩٧٦ م .

٤ ــ أعراب القرآن/ أبو جعفر النحاس / تحقيق د. زهير غازي زاهد / مطبعة العاني / بغداد .

٥ ــ تفسير الجلالين / جلال الدين الحلبي وجلال الدين السيوطي / دار التراث / القاهرة .

٦ ــ تهذيب اللغة / الأزهري / تحقيق لجنة / دار الكتاب العربي / القاهرة ١٩٦٧ م .

٧ ــ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس / شركة ماستر ميديا / القاهرة .

٨ ــ الجمان في تشبيهات القرآن / ابن ناقيا / تحقيق د . احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي / بغداد / ١٩٦٨ م .

٩ ــ شرح المفصل / ابن يعيش / طبع ونشر إدارة الطباعة المنيرية .

١٠ ــ شرح الرضي على الشافية / تحقيق محمد نور الحسن / محمد الزفزاف / محمد محي الدين عبد الحميد / دار الكتب العلمية .

١١ ــ صفوة التفاسير / شيخ محمد علي الصابوني / دار القرآن / بيروت .

١٢ ــ الدر المنثور في التفسير المأثور / السيوطي / دار الفكر / بيروت.

١٣ ــ العين / الخليل بن احمد الفراهيدي / تحقيق د . مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي / بغداد ١٩٨٤ م .

١٤ ــ القاموس المحيط / الفيروز آبادي / تعليق أبو الوفا نصر

الهوريني / ط ١ / دار الكتب العلمية / ٢٠٠٤ م .

١٥ـ الكتاب / سيبويه / تحقيق عبد السلام هارون / مكتبة الخـانجي / القاهرة / ط ٣ / ١٩٨٨ م .

١٦ـ الكشاف / جار الله الزمخشري / تعليق خليل مأمون شـيحا / دار المعرفة / بيروت / ط ١ / ٢٠٠٢ م .

١٧ـ لغات العرب الواردة في القرآن / ابو عبيدة بن سلام / تحقيق د . عبد الحميد السيد طلب / الكويت / ١٩٨٤ م .

١٨ـ مجاز القرآن / أبو عبيدة معمر بن المثنى / تعليق د . محمد فؤاد سركين / مصر .

١٩ـ مختار الصحاح / عبد القادر الرازي / دار الرسالة / الكويـت / ١٩٨٣ م .

٢٠ـ معاني الأبنية / د . فاضل السامرائي / الكويت / ط ١ / ١٩٨١م.

٢١ـ معاني القرآن / الفراء أبو زكريا / تحقيق محمد علـي النجـار واحمد يوسف نجاتي / ط ٢ / القاهرة / ١٩٧٨ م .

٢٢ـ معاني القرآن وإعرابه / أبو إسحاق الزجاج / تحقيـق د . عبـد الجليل عبده شلبي / عالم الكتب / بيروت / ط / ١٩٨٨ م .

٢٣ ـ معجم الكلمات الآكدية في اللغات الشرقية القديمـة والإغريقيـة واللاتينية / محمد داود سلوم / بيروت / ط ١ / ٢٠٠٣ م .

٢٤ـ مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني / تحقيـق صفـوان داودي / ط ١ / بيروت / ١٩٩٧ م .

٢٥ـ موسوعة الكتاب المقدس / دار منهل الحياة / ١٩٩٣ م .

الشباب والتنمية الاجتماعية

أ. د. إحسان محمد الحسن

أستاذ علم الاجتماع

كلية الآداب / جامعة بغداد

الملخص :

يعد عنصر الشباب من العناصر الأساسية المحركة لعملية التنمية الاجتماعية في المجتمع ، فالشباب هم وسيلة التنمية وغايتها[١]. ذلك ان بدونهم لا يمكن للتنمية سواء كانت اجتماعية او اقتصادية ان تأخذ مكانها في المجتمع لانهم بمثابة العصب الحساس للتغيير الاجتماعي والمادي الذي يدفع عجلة التقدم الى أمام . ومن جهة أخرى ان التنمية الاجتماعية هي العامل الواضح الذي يغير ظروف الشباب نحو الأحسن والأفضل ويمنحهم القوة التي تمكنهم من إعادة بناء الصرح الحضاري للمجتمع على أسس قوية ورصينة . ذلك ان التنمية الاجتماعية التي تمس عنصر الشباب تجعلهم اكثر فاعلية ونشاطاً في أداء مهامهم وتحمل مسؤولياتهم من ذي قبل . فالتنمية الاجتماعية تطور ملكاتهم الذهنية والتربوية والثقافية وتؤهلهم على الأعمال والحرف التي يخدمون المجتمع من خلالها وتحافظ على حيويتهم ونشاطهم وصحتهم وتمكنهم من الموازنة بين أنشطة العمل وانشطة الفراغ والترويح التي تفجر طاقاتهم المبدعة والخلاقة وتنمي شخصياتهم وتبلور أدوارهم الوظيفية[٢]. فضلا عن دور التنمية الاجتماعية في بعث الطاقات الجديدة

عند الشباب وصقل ملكاتهم التربوية والإنسانية والروحية وزجها في خدمة المجتمع وقضاياه المصيرية .

لذا فالشباب يؤثرون في عملية التنمية الاجتماعية ، والعملية الأخيرة تؤثر في الشباب ولا يمكن فصل الجانبين بعضهما عن بعض . ذلك ان هناك علاقة جدلية منطقية بين الشباب والتنمية الاجتماعية ، فلا تنمية بدون شباب ولا شباب بدون تنمية وتطوير وصقل المواهب والإمكانات والطاقات الكامنة والظاهرة التي يتمتعون بها(٣).

ان هذا البحث يهدف الى تحقيق عدد من الأغراض المهمة التي يمكن تحديدها بثلاثة أغراض هي :

١. توضيح الدور الذي يمكن ان يؤديه الشباب في عملية التنمية الاجتماعية وتوضيح دور التنمية الاجتماعية في تنمية قدرات وامكانات الشباب الظاهرة والكامنة .
٢. تحديد ماهية حقوق الشباب في المجتمع وتجسيد طموحاتهم الذاتية والمجتمعية .
٣. تشخيص المشكلات التي يواجهها الشباب والتي تعيق عملية تنميتهم الاجتماعية مع وضع المعالجات والتوصيات التي من شانها ان تعالج هذه المشكلات وتطوق آثارها السلبية والهدامة على الشباب والمجتمع .

ان البحث يتكون من ستة مباحث هي :

المبحث الأول : التحديد العلمي لمفهومي الشباب والتنمية الاجتماعية .

المبحث الثاني : دور الشباب في مجال التنمية الاجتماعية .

المبحث الثالث : أهمية التنمية الاجتماعية في تطوير طاقات الشباب .

المبحث الرابع : حقوق الشباب وطموحاتهم .

المبحث الخامس : المشكلات التي يواجهها الشباب والتي تعيق عملية تنميتهم الاجتماعية .
المبحث السادس : التوصيات والمعالجات لمواجهة مشكلات الشباب .
والآن علينا دراسة هذه المباحث مفصلاً .

المبحث الأول: التحديد العلمي لمفهومي الشباب والتنمية الاجتماعية :

هناك عدة تعاريف لمفهوم الشباب لعل أهمها التعريف الذي ينص على أنهم فئة عمرية فاعلة في المجتمع نظراً لكون أعمارهم فتية إذ تتراوح بين ١٥ سنة الى ٣٦ سنة[٤] ، وهذه الفئة هي من أوسع الفئات الاجتماعية واكثرها تكيفاً للظروف والمناسبات التي يشهدها المجتمع . ذلك ان نسبة الشباب في المجتمع تربو على ٧٠% في البلدان النامية وتبلغ نحو ٦٠% في البلدان الصناعية المتقدمة[٥] . والشباب يتكيفون لظروف العمل المستجدة والصعبة وللمعطيات السياسية الاجتماعية والتربوية والمناخية والجغرافية اكثر من غيرهم من الفئات العمرية الأخرى لاسيما متوسطي العمر والمسنين [٦].

وهناك من عرَّف الشباب بانهم مجموعة من الذكور والإناث تتميز بمحددات عمرية تتراوح بين ١٥ـــ٢٥ سنة ، وهذه المجموعة تكون نشيطة وسريعة الاستجابة للمؤثرات البيئية والاجتماعية وذا قابلية كبيرة على التجديد والتكيف والتحوير لما يحدث في المجتمع من أحداث وقضايا[٧] ، فضلا عن ان إنتاجية هذه المجموعة وخدماتها للمجتمع تكون افضل من تلك التي تميز المجاميع العمرية الأخرى . ونتيجة للأعمار الفتية التي يتميز بها الشباب فانهم يخدمون المجتمع لفترات طويلة من الزمن مقارنة بالفئات العمرية الأخرى [٨] .

وهناك آخرون عرّفوا الشباب على انهم مجموعة أفراد يتميزون على غيرهم بالحركة والنشاط والفاعلية ويمتلكون صفة المغامرة وحب الاستطلاع وروح البذل والعطاء والتضحية اكثر من غيرهم[٩] . لهذا تعد الشعوب فتية ونشطة اذا امتلكت نسبة عالية من الشباب ، هذه النسبة التي تمنحها الحيوية والحركة والحماس ومواجهة الأخطار والتحديات والتهديدات التي غالبا ما تتعرض لها الشعوب والحضارات .

اما تعريف التنمية الاجتماعية فينص على انها عملية تغيير شامل يعتري المؤسسات الاجتماعية ويغيرها من شكل غير متقدم الى شكل متقدم يتسم بالديناميكية والفاعلية والموضوعية[١٠] . وهناك من عرّف التنمية الاجتماعية على انها عملية تغيير واقع الإنسان الى واقع جديد يتسم بالنمو والتقدم والحركية والشمولية[١١]. وفي هذا الواقع الجديد يستطيع الإنسان تحسين نوعية حياته الى درجة يكون فيها قد حقق جميع أهدافه الاجتماعية والإنسانية بأقصر وقت ممكن وبأقل قدر من التكاليف والخسائر .

ان التنمية الاجتماعية قد تعني عملية التوافق الاجتماعي وتنمية طاقات الفرد الى أقصى حد مستطاع ، او إشباع الحاجيات الاجتماعية للإنسان والوصول بالفرد الى مستوى معين من المعيشة وأسلوب الحياة[١٢]. وقد يعني بالتنمية الاجتماعية عملية تغيير موجه يتحقق عن طريقها إشباع حاجات الفرد الاجتماعية والروحية[١٣] . وقد أكد آخرون على ان التنمية الاجتماعية انما هي عملية تغيير حضاري في طبيعة المجتمعات التقليدية . وهناك من عرّف التنمية الاجتماعية على انها عملية تغيير حضاري تتناول افاقاً واسعة من المشروعات التي تهدف الى خدمة الإنسان وتوفير الحاجات المتصلة بعمله ونشاطه ورفع

مستواه الثقافي والصحي والفكري والروحي(١٤) . وهذه التنمية تعمل بصورة عامة على استخدام الطاقات البشرية من اجل تنميتها ودفعها الى الأمام . تعتمد على شبابها في عملية تنميتها وتحضرها ورقيها مما تعتمد على أية فئة اجتماعية أخرى . ذلك ان الشباب هم الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها التنمية الاجتماعية(١٥) . فالشباب يشاركون مشاركة فعالة في جمع البيانات والإحصاءات التي تضع الخطوط العريضة لعملية التنمية الاجتماعية ، هذه العملية التي تضمن تغير المجتمع وتطوره في جميع المجالات . فضلاً عن دورهم في وضع البرامج التنموية المطلوبة واتخاذ ما يضمن تنفيذ هذه البرامج لكي تفعل فعلها الواضح والفاعل في تطوير المجتمع والبناء الاجتماعي في شتى المجالات المادية وغير المادية والإنسانية .

يزاد الى ذلك ان الشباب يسعون الى توفير الموارد المادية والبشرية التي تتطلبها خطط التنمية القومية ويحافظون على هذه الخطط ضد الأخطار والتحديات التي قد تعطلها وتبعثر مفرداتها وبرامجها . ناهيك بدور الشباب في التخطيط للتنمية الاجتماعية أي وضع خططها والعمل على تنفيذ مفرداتها وبرامجها في جميع مناطق البلد وبسرعة متناهية تضمن نجاح الخطة وبلورتها في المجتمع . لذا فالشباب هم العنصر الحيوي لوضع وتنفيذ خطط التنمية من اجل رفع مستوى المعيشة ومن اجل خدمة أهداف التنمية .

وقد عرّفت التنمية الاجتماعية على انها كل الجهود البشرية التي تبذل من اجل النمو والتقدم وتحقيق الرفاهية للمواطن والمجتمع(١٦) . والتنمية كلمة جامعة لا نعني بها مجرد خطة او برنامج او مشروعات للنهوض بحياة الشعوب اقتصادياً واجتماعياً وانما نعني

بها أيضا كل عمل انساني بنّاء في جميــع القطاعــات وفــي مختلــف المجالات وعلى كافة المستويات . وهكذا تطور مفهوم التنمية الى اكـثر من طريقة واوسع من أسلوب واكثر من منهج في مهنة او عدة مـــهن الى مفهوم عميق وفلسفة واضحة تتضمن زيادة الإنتاج وعدالة التوزيـع ووفرة الخدمات وحق لكل مواطن فيها ودعم في العلاقـــات الإنســانية لنشر التعاون والتفاهم بين الجميع وزيادة الخِبر والتجارب والمـــهارات لتعميم الرخاء والرفاهية للشعوب . وبذلك تكون التنمية الاجتماعية قـوة دافعة تطيح بالمعوقات وتبعد السلبيات وتمنع استخدام أســاليب العنــف والهدم وتوجه الطاقات البشرية من اجل تحقيــق أهــداف المجتمعــات النامية فتحول الآثار السلبية الى قوة إيجابية فاعلـــة وطاقــات ماديــة ومعنوية متكاتفة ومتطلعة نحو تحقيق الأهداف الكبرى للامة التي يكون فيها الشباب من أهم الفئات المسؤولة عن مهام التنمية واعادة البناء .

المبحث الثاني : دور الشباب في عملية التنمية الاجتماعية :

يؤدي الشباب دورهم الفاعل في عملية التنمية الاجتماعية نظرا للمواصفات البايولوجية والعمرية والنفسية التي يتمتعون بـــها والتـــي تدفعهم اكثر من غيرهم من الفئات العمرية الأخرى الى بناء واعادة بناء المجتمع على أسس رصينة وصلدة . ان ما يقوم به الشباب من مــــهام وفعاليات في مجال التنمية الاجتماعية يمكن إجماله بالنقاط الآتية :

١. يمكن ان يؤدي الشباب دورهم المهم في نقل معـــالم التكنولوجيــا الاجتماعية من البلدان الصناعية المتقدمة الى الأقطــار العربيــة . وبمعالم التكنولوجيا الاجتماعية التي يمكن ان ينقلها الشباب بسـرعة الى الأقطار العربية نعني خدمات الرعاية الاجتماعيـــة كخدمــات رعاية المسنين والأحداث والمعوقين وخدمـــات رعايــة الأســرة

وخدمات رعاية الأحداث فضلا عن نقل المبادئ الفلسفية والعلمية التي تقوم عليها هذه الخدمات[17]. علما بان الشباب يستطيعون أداء هذه الخدمات وإدامتها والحفاظ على مستوياتها النوعية مع نشرها وترسيخها في كل مكان لتشارك في إسعاف الأفراد بمختلف خلفياتهم الاجتماعية والطبقية . فضلا عن تطوير وتنمية نوعيتها لكي تكون بالمستوى الذي يطلبه المواطنون .

٢. دور الشباب في بناء وتنمية الخدمات الصحية والإشراف على إدارتها واستمراريتها والعمل على توسيع ميادينها ومجالاتها لكي تكون مؤهلة وقادرة على القضاء على الأمراض المزمنة مع نشر معالم الصحة ومحاربة الأمراض الانتقالية والمزمنة .

٣. أهمية الشباب في إرساء الأسس القويمة التي تقوم عليها المؤسسات التربوية والتعليمية بدءًا من رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وانتهاءً بالكليات والجامعات[18] مع مبادرة الشباب بحث الأفراد على الانخراط في المدارس والمعاهد والجامعات للتربية واكتساب المهارات والخبرات الاكاديمية التي من خلالها يمكن بناء الإنسان والمجتمع[19] .

٤. أهمية الشباب في بناء المشاريع السكنية التي توفر السكن الصحي والملائم للمواطنين على اختلاف فئاتهم الاجتماعية وطبقاتهم .

٥. أهمية الشباب في المشاركة في وضع السياسة الترويحية التي يعتمدها المواطن والتي من شانها ان تملأ أوقات فراغ الناس وتسليتهم وتطوير مواهبهم وملكاتهم وقدراتهم الكامنة مع تطوير شخصياتهم وبلورة الادوار الوظيفية عندهم .

٦. أهمية الشباب في تنمية وتطوير الخدمات الاجتماعية التي من شانها ان تنظم عمل هذه الخدمات وتضع لها السياسة القويمة والثابتة التي تسير عليها[٢٠] ولعل من أهم الخدمات الاجتماعية هذه التي يمكن ان يهتم بتنظيمها الشباب الخدمات السكنية وخدمات النقل العام والمواصلات والخدمات التربوية والتعليمية والخدمات الطبية بأنواعها ودرجاتها المختلفة . علما بان الشباب يستطيعون رفد هذه الخدمات بالكوادر والملاكات البشرية المؤهلة والمدربة على تمشية أعمالها ، وان يشاركوا في رسم سياسات هذه الخدمات وبرمجة مناهجها واعمالها وخططها . فضلا عن دور الشباب بتزويدها بالأموال والأجهزة والأيدي العاملة بصنوفها الماهرة وشبه الماهرة وغير الماهرة .

٧. أهمية الشباب في حل المشكلات الاجتماعية المستعصية التي يواجهها المجتمع كمشكلة البطالة عن العمل ومشكلة الجهل والامية ومشكلة ازدحام السكان في المدن ومشكلة المرض ومشكلة الجريمة وجنوح الأحداث ومشكلة تفكك العائلة والطلاق ومشكلة الفقر والحرمان الاقتصادي . علما بان حل هذه المشكلات يتطلب دراستها علميا وتشخيص أسبابها وآثارها وطرق علاجها لكي يصار الى تطويق مسبباتها وآثارها الهدامة [٢١] علما بان مواجهة المشكلات المستعصية في المجتمع من شانه ان يمنح المجتمع المحلي والمجتمع الكبير درجة من التنمية التي تطور الجوانب الاجتماعية والإنسانية في المجتمع .

٨. دور الشباب في تشخيص القيم الإيجابية التي يحتاجها المجتمع وفرزها عن القيم السلبية والهدامة واتخاذ التدابير التي من شانها ان

تزرع القيم الإيجابية في نفوس الناشئة والشباب واستئصال بذور القيم الضارة والهدامة والعمل على محاربتها لكي لا تكون سببا من أسباب التخلف والتداعي والنكوص . فالقيم الإيجابية التي تجلب التنمية الاجتماعية الى المجتمع هي قيم الثقة العالية بالنفس وقيم التعاون والصبر والشجاعة والثبات والموازنة بين الواجبات والحقوق الاجتماعية فضلا عن قيم التفاؤل بالمستقبل وحب الأمة العربية المجيدة والاعتزاز بتراثها الرسالي وماضيها المشرق .

في حين ان القيم السلبية الواجب محاربتها وتطويقها هي القيم العنصرية والطائفية والتحيز والتعصب والجبن والتخنث والكذب والغش والنميمة والطبقية والتعالي والتكبر والغرور والأنانية وحب الذات[٢٢] فعندما تنشر القيم الاجتماعية الإيجابية وتنحسر القيم السلبية في زوايا ضيقة فان التنمية الاجتماعية تظهر بأبهى صورها فتنعكس على الفرد والجماعة والمجتمع انعكاسا إيجابيا يقود الى تنمية وتفجير طاقاته المبدعة والخلاقة واستثمارها الى ابعد الحدود .

هذه هي أهم المهام التي يمكن ان يؤديها الشباب في المجتمع ليضمنوا التنمية الاجتماعية التي يتطلبها المجتمع .

المبحث الثالث : أهمية التنمية الاجتماعية في تطوير طاقات الشباب :

تؤدي التنمية الاجتماعية التي تلوح معالمها في المجتمع نتيجة أنشطة الشباب وفعالياتهم دورها الفاعل في تطوير طاقات الشباب وصقل إمكاناتهم التي يمكن زجها في عملية التحول الاجتماعي المخطط التي تضمن صيرورة المجتمع وتقدمه في شتى المجالات والميادين . ان التنمية الاجتماعية ببرامجها وفعالياتها المختلفة يمكن ان تنمي إمكانات

الشباب وتدفع الى العمل المبدع والخلاق وذلك من خلال ما تؤديه من مسؤوليات واعمال يمكن إجمالها بالنقاط الآتية :

١.دور التنمية الاجتماعية في تشجيع الشباب على اكتساب الثقافة والتربية والتعليم والتسلح بالعلم والاستفادة منه لكي يستعمل في عملية البناء الحضاري المادي وغير المادي للمجتمع .

٢.أهمية التنمية الاجتماعية في جلب الصحة والحيوية ، والنشاط للشباب بحيث يستطيع أداء مهامه في التجديد والتحديث والتنمية الشاملة ودفع عجلة المجتمع الى أمام .

٣.دور التنمية الاجتماعية في إطالة الوقت الحر للشباب واستثماره في الأنشطة الترويحية التي تفجر طاقات الشباب وتعيد بناء شخصياتهم وتبلور الأدوار الوظيفية المتكاملة عندهم[٢٣] وهذا يمكّن الشباب من استثمار الأنشطة الترويحية الإيجابية والابتعاد عن الأنشطة الترويحية السلبية التي تحطم الشخصية وتفتت عناصرها الأساسية .

٤.أهمية التنمية الاجتماعية في تنوير الشباب وتفتح أذهانهم وتقبلهم لأساليب الحياة الحديثة الى درجة انهم يتفاعلون مع المجتمع الحديث ويتكيفون لأساليبه وطرقه الحياتية المتفرغة دون ان تجلب لهم اية مشكلات تذكر .

٥.تؤدي التنمية الاجتماعية دورها الفاعل والواضح في تجهيز الشباب بالقيم الإيجابية التي يحتاجها المجتمع الجديد كقيم الشجاعة والبطولة والتواضع والنقد والنقد الذاتي والشجاعة والتعاون والثقة العالية بالنفس والصدق والإخلاص في العمل والتواضع والمروءة والنخوة ... الخ [٢٤] ومثل هذه القيم التي يتسلح بها الشباب نتيجة

التنمية الاجتماعية تحسن نوعية السلوك عند الشباب وتقوي علاقاتهم الاجتماعية بعضهم مع بعض .

٦. التنمية الاجتماعية تجعل الشباب اكثر قدرة على التدريب والتاهيل واكتساب الخبرات التقنية والعلمية التي تمكن الشباب من زيادة الإنتاج كما ونوعا وتحسين نوعية الخدمات التي يقدمونها لابناء المجتمع[٢٥] .

٧. التنمية الاجتماعية تجعل الشباب اكثر تكيفا للمجتمع الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه . وإذا ما كان الشباب متكيفين للمجتمع فان إنتاجيتهم تزداد وخدماتهم تكون ذا نوعية عالية . وهذا ما يجعل الشباب بمنأى عن التذمر والجنوح والسخط على المجتمع ، وبالتالي بعيدين كل البعد عن إثارة أعمال الفتنة والشغب والانتقام ضد المجتمع[٢٦] .

٨. التنمية الاجتماعية التي تسود في المجتمع تمكن الشباب من الوحدة والتماسك والتلاحم في المجتمع ، ومثل هذه الوحدة تساعد على قوتهم ونفوذهم الفعال وبالتالي قدرتهم على تحقيق اهدافهم وطموحاتهم القريبة والبعيدة على السواء .

٩. التنمية الاجتماعية التي تأخذ مكانا في المجتمع تساعد على التزام الشباب بوسائل الضبط الاجتماعي الداخلية والخارجية . فالتنمية الاجتماعية تجعل الشاب يحترم القانون ويطيعه ويتمسك بالقيم الإيجابية ويبتعد عن القيم الاجتماعية السلبية كلما استطاع الى ذلك سبيلا . وهذا ما يجعل الشباب أعضاء فاعلين ومؤثرين في المجتمع الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه .

١٠. تؤدي برامج التنمية الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع الدور المهم في مساعدة الشباب في مواجهة المشكلات الاجتماعية المستعصية التي يواجهها المجتمع . وهذا يكون عن طريق مهاجمة أسباب المشكلات وتطويق آثارها السلبية على المجتمع المحلي والمجتمع الكبير .

١١. من أهم المهام التي تؤديها التنمية الاجتماعية للشباب مهمة تمكين الشباب من الانتقال الاجتماعي العمودي دون ان يضر ذلك بهم(٢٧) . فعندما يحرز الشباب نجاحات في ميدان العمل او الدراسة او المال فان هذا مدعاة لانتقاله الاجتماعي العمودي من فئة واطئة الى فئة عليا او من فئة وسطى الى فئة عليا . لذا فالانتقال الاجتماعي هو وليد التنمية الاجتماعية والاقتصادية :

المبحث الرابع : حقوق الشباب وطموحاتهم

من البديهي ان الشباب يضطلعون بواجبات تتحدد بمهام الدراسة والاجتهاد والتحصيل العلمي واشغال الأعمال الإنتاجية والخدمية التي يحتاجها المجتمع للحفاظ على هوية المجتمع وتراثه الحضاري والمشاركة في إعادة بناء صرحه المادي ونشر المبادئ والقيم والأفكار الإيجابية والبناءة بين الناس باعتبار ان الشباب هم الفئة المثقفة والواعية والمدركة . وهذه الواجبات المهمة والخطيرة التي يضطلعون بها تتيح لها المجال بالتمتع بالعديد من الحقوق المشروعة والثابتة ، كما تتوازن كفة الواجبات مع كفة الحقوق ، واذا ما توازنت الكفتان فان العدالة الاجتماعية لابد ان تتحقق وتفعل فعلها المؤثر في اندفاع الشباب نحو المبادرة والعمل والخلق والإبداع .

بيد ان الحقوق التي ينبغي ان تناط بالشباب والتي يمكن ان تذكي قدراتهم وطاقاتهم المبدعة والخلاقة يمكن تحديدها بالنقاط الآتية :

١. توفير الأجواء والحريات المناسبة التي تمكن الشباب من الاعتماد على أنفسهم في اتخاذ القرار الذي يحدد مستقبل حياتهم الذي يتجسد في دراستهم وعملهم وترويحهم وزواجهم وإنجابهم للذرية واستقرارهم البيتي والأسري[٢٨] .
٢. منح الشباب فرص اختيار الموضوعات الدراسية التي يرغبون التخصص بها وعدم فرض الموضوعات عليهم فرضا لاعتبارات واهية وسقيمة .
٣. ضرورة توفير العمل للشباب الذي يتلائم مع تحصيلهم الدراسي والعلمي ورغباتهم وميولهم واتجاهاتهم ، العمل الذي يساعدهم في كسب موارد العيش ويمكنهم من تحقيق الاستقلالية وبناء حياتهم الزوجية والأسرية .
٤. منح الشباب فرصة تحقيق الموازنة المثلى بين أنشطة العمل وانشطة الفراغ والترويح . ذلك ان مثل هذه الموازنة تمكنهم من التميز في مجالات العمل ، والاستفادة من الوقت الحر في تطوير الشخصية وصقل سماتها الأساسية لكي تكون مؤثرة في الوسط الذي تعيش فيه .
٥. منح الشباب درجة من الاستقلالية الذاتية ومنحهم درجة لا باس بها من الاحترام والتقدير . ذلك ان استقلالية الشباب تعزز ثقتهم بأنفسهم وتجعلهم اكثر اعتمادا على أنفسهم وتدفعهم الى تحسين أوضاعهم وقهر مشكلاتهم وتحدياتهم[٢٩] .

٦. منح الشباب فرص المشاركة مع القادة والمسؤولين في إدارة وتنظيم المؤسسات التي يعملون فيها . ذلك ان مشاركتهم في الإدارة والتنظيم لابد ان تخلق ظروف العمل التي تتجاذب مع أهدافهم وطموحاتهم وفي الوقت ذاته تجعلهم يعتقدون بانهم يعملون وسط مناخ ديمقراطي حر يحترمهم ويثمن مجهوداتهم ويفسح المجال أمامهم بإدارة وتنظيم شؤونهم وحل مشكلاتهم وتحسين ظروفهم وأحوالهم العامة والخاصة .

٧. حماية الشباب من تيارات وبرامج العولمة والغزو الثقافي التي تهدف فيما تهدف الى تفسيخ القيم عند الشباب وترسيخ القيم السلبية والهدامة[٣٠] . وهنا يكون الشباب متسلحين بالقيم الإيجابية كالتعاون والإيمان والشجاعة والصراحة والصدق والأمانة والثقة العالية بالنفس والموازنة بين الواجبات والحقوق والإيثار والتضحية من اجل الآخرين . ان هذه القيم تحمي الشباب من نوازع الانحراف والجريمة والعدوان وتجعلهم مواطنين صالحين يعتمد عليهم المجتمع في مسيرته الآنية والمستقبلية .

٨. حق رفد الشباب بالخدمات التي يحتاجونها كخدمات الرعاية الاجتماعية وخدمات رعاية المعوقين وخدمات الأسرة وخدمات الضمان الاجتماعي وخدمات الفراغ والترويح ... الخ ، هذه الخدمات التي تنمي قدراتهم وتطور شخصياتهم وتفجر طاقاتهم المبدعة والخلاقة .

٩. منح الشباب الحريات التي يحتاجونها في حياتهم العامة والخاصة كحرية العمل وحرية العقيدة وحرية الدين وحرية الاجتماع وحرية الصحافة وحرية التعبير عن الرأي وحرية النقد والنقد الذاتي ، هذه

الحريات التي تعبر عن صيغ الديمقراطية وترسي معالم العدالة الاجتماعية في المجتمع . وإذا ما منح الشباب هذه الحريات فان طاقاته نحو العمل والإبداع لابد ان تقوى وتتضاعف ، الأمر الذي يطور واقع الشباب ويحول حياتهم الى حياة اكثر بهجة وفاعلية ورفاهية من ذي قبل .

المبحث الخامس : المشكلات التي يواجهها الشباب والتي تعيق عملية تنميتهم الاجتماعية .

يعاني الشباب في مجتمعنا من العديد من المشكلات التي تحول دون تحقيق طموحاتهم المشروعة ، ولعل من أهم هذه المشكلات ، المشكلات الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية والمشكلات الترويحية والمشكلات التربوية والتعليمية واخيرا المشكلات القيمية .

تتجسد المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الشباب في مسالتين رئيستين هما مسالة التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الشباب من أسرهم وأقربائهم وابناء مجتمعهم المحلي ومن الجماعات المؤسسية التي ينتمون اليها كالمدارس والمعاهد والجامعات والمنظمات الجماهيرية والشعبية واماكن العمل والعبادة ... الخ . فهذه الجماعات في الأعم الأغلب لا تنسق سياساتها التربوية والتنشيئية إزاء الجيل الجديد ولا تتعاون فيما بينها إزاء ما يتطلب تبنيه من أفكار وقيم وأساليب تنشيئية يمكن ان تؤثر في تربية الشباب وتقويمهم . الأمر الذي يقود الى ضعف او ربما تعثر عمليات التنشئة الاجتماعية التي يمر بها الشباب . والمسالة الثانية التي تواجه عملية التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الشباب من نظم المجتمع ومؤسساته هي عدم معرفة هذه الجهات المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية بالصيغ والإجراءات الصحيحة التي يمكن اعتمادها

في تربية الشباب كالرعاية المكثفة للشباب واحتضانهم وتلبية حاجاتهم والدفاع عن حقوقهم ، واعتماد أسلوب الموازنة بين اللين والشدة عند التعامل مع الشباب ، واخيرا انتهاج مبادئ الثواب والعقاب في تربية الشباب والإشراف على تنشئتهم الاجتماعية .

اما المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الشباب فقد أصبحت كثيرة ومتفرعة لاسيما بعد الأزمات السياسية والاقتصادية التي مرت بها العديد من الأقطار العربية . فمن المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الشباب مشكلة البطالة عن العمل لاسيما البطالة بين خريجي الكليات والجامعات ومشكلة ارتفاع الأسعار الناجمة عن التضخم المالي. فضلا عن مشكلة عدم قدرة الشباب على اقتناء الكثير من حاجياتهم ومشكلة اعتمادهم على أولياء أمورهم ، هذه المشكلة التي تتعارض مع رغبتهم في تحقيق الاستقلالية والاعتماد على الذات ، ومشكلة عدم قدرتهم على إكمال دراساتهم نتيجة ضعف أحوالهم الاقتصادية[٣٢] فضلا عن مشكلة عدم توفر الأعمال التي تتناسب مع رغباتهم وميولهم واتجاهاتهم ، مع مشكلة عيشهم في بيوت لا تتوفر فيها ابسط الشروط الاجتماعية والبيئية والصحية الملائمة . ومشكلات كهذه تؤدي دورها الفاعل في منع الشباب من قيادة حياة طبيعية يستطيعون من خلالها التعامل الإيجابي مع المجتمع الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه .

وهناك المشكلات الترويحية التي يعاني منها الشباب والتي تتجسد في عدم احترام الزمن وضعف استثماره من العديد من الشباب ، وعدم الفصل بين أوقات العمل وأوقات الفراغ وتحويل أوقات الفراغ الي أوقات عمل تقتل ملكات الشخصية ومواهبها لان الشباب

لا يحتاجون الى أنشطة العمل فقط بل يحتاجون أيضـــا الـــى أنشــطة ترويحية تطور الشخصية وتفجر طاقاتها المبدعة والخلاقة[٣٣] .

فضلا عن عدم استعداد العديد من الشباب الى تحويـــل الوقــت الحر او وقت الفراغ الى وقت ترويح يمارس الشباب خلاله الأنشـــطة الترويحية الإيجابية كالأنشطة الرياضية والفنية والمطالعة والسفر مــن اجل الراحة والاستجمام وممارسة الهوايات الممتعة ومشاهدة التلفزيـون وسماع الراديو وريادة النوادي والجمعيات الثقافية والعلمية والرياضية . واخيرا ميل العديد من الشباب نحو عدم التمييز بين الأنشطة الترويحيـة الإيجابية والأنشطة الترويحية السلبية وممارسة الأنشـــطة الترويحيـــة السلبية وتفضيلها على الأنشطة الترويحية الإيجابية . علما ان الأنشــطة الترويحية السلبية تتجسد في المكوث في البيت والنوم الطويل والتواجـد في الأزقة والشوارع والتردد على أماكن الديسكو والطرب ولعب القمار وربما ممارسة بعض الأفعال المنحرفة التي تجلـــب الأذى والضــرر للناس[٣٤].

اما المشكلات التربوية والتعليمية التي يعـــاني منـــها الشـــباب فتتجسد في عدة أمور تتعلق بموضوع دراستهم وتحصيلـــهم العلمـــي . فهناك العديد من الشباب لا يستطيعون إكمال دراساتهم نتيجة عدم توفـر الرغبة والاندفاع الكافيين عندهم او ضعف إمكاناتهم المادية او قبولـــهم في تخصصات دراسية وعلمية لا يرغبون بها او تسربهم عن الدراســة او رسوبهم فيها لسبب او لآخر . ومن المشكلات التربوية والتعليميـــة التي يواجهها الشباب المزاوجة بين الدراسة والعمـــل نظـــرا لضعــف الإمكانات المادية عندهم وصعوبة المنـــاهج والكتـــب المقـــررة التـــي يدرسونها وضعف العلاقة الإنسانية بين الطلبة والأساتذة وعدم تعييـــن

الخريجين او تعيينهم في أعمال لا علاقة لها بتخصصاتهم العلمية والتقنية . جميع هذه المشكلات التربوية والتعليمية التي يواجهها الشباب تؤدي دورها المخرب في الاستفادة من طاقاتهم ومؤهلاتهم وبالتالي تبطل دورهم الفاعل في المجتمع .

المبحث السادس : التوصيات والمعالجات لمواجهة المشكلات التي يواجهها الشباب والتي تحول دون تنميتهم الاجتماعية

لا يمكن للشباب بلوغ الآفاق الرحبة للتنمية الاجتماعية والروحية التي يسعى القادة والمسؤولون والمخططون الى بلوغها دون الشروع بمواجهة المشكلات والتحديات التي يعانون منها والتي ذكرناها في المبحث الخامس من البحث ، ومواجهة مشكلات الشباب بقصد تنميتهم اجتماعيا وروحيا تستلزم التركيز على تنفيذ التوصيات والمعالجات التالية :

١. ضرورة الاهتمام بتنشئة الشباب تنشئة واعية ومسؤولة ، وتربيتهم تربية أخلاقية ملتزمة متأتية من التراث العربي الإسلامي لكي يكون سلوك الشباب قويما وعلاقاتهم الاجتماعية قوية ومؤثرة في المؤسسات الاجتماعية التي ينتمون اليها ويتفاعلون معها .
٢. على المراجع والمؤسسات والجماعات المسؤولة عن تنشئة الشباب وتربيتهم الأخلاقية تنسيق سياساتها التربوية والتعاون فيما بينهم للتأثير في تنشئة الشباب وتقويم خصالهم الاجتماعية والأخلاقية . ومثل هذه المؤسسات والجماعات هي الأسرة والمدرسة والمنظمات الجماهيرية والشعبية وقادة المجتمعات المحلية وأماكن العمل العبادة ... الخ .

٣.ضرورة تسليح مؤسسات وجماعات المجتمع المسؤولة عن تنشئة الشباب وتربيتهم بالتقنيات والأساليب الصحيحة للتنشئة الاجتماعية والتي يمكن اعتمادها في تنشئة الشباب واعدادهم الاجتماعي والنفسي والفكري كالرعاية المكثفة للشباب واحتضانهم وتلبية حاجاتهم والدفاع عن حقوقهم مع اعتماد أسلوب الموازنة بين اللين والشدة عند التعامل معهم ، فضلا عن اتباع مبادئ الثواب والعقاب في تربيتهم والإشراف على تنشئتهم الاجتماعية .

٤.اتخاذ الإجراءات اللازمة لحل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الشباب كمشكلة البطالة ومشكلة اعتماد الشباب على أهلهم وذويهم في سد متطلباتهم المادية ومشكلة العوز والحاجة والفقر ... الخ . ويمكن حل هذه المشكلات الاقتصادية عن طريق توفير العمل للشباب ورفع معدلات الأجور ، والرواتب وخدمات الرعاية الاجتماعية للشباب .

٥.ضرورة حث الشباب على احترام الزمن مع ضرورة الفصل بين وقت العمل ووقت الفراغ والترويح . فضلا عن الحاجة الملحة الى استثمار وقت الفراغ في ممارسة أنشطة ترويحية إيجابية من شانها ان تطور الشخصية وتفجر طاقاتها المبدعة والخلاقة .

٦.يتطلب من الشباب الابتعاد عن الأنشطة الترويحية الضارة كالتسكع في الازقة والشوارع ولعب القمار والتردد على أماكن الديسكو والطرب والغناء والامتناع عن تناول المشروبات الكحولية والمكوث في البيت والمقهى لساعات طويلة ، كما يمكن حث الشباب على ممارسة الأنشطة الترويحية الإيجابية كالمطالعة والكتابة ومشاهدة التلفزيون وسماع الراديو والسفر من اجل الراحة

والاستجمام وزيارة الأهل والأقـــارب والـــتردد علـــى المكتبـــات والمتاحف والعتبات المقدسة ودور العلم والمعرفة .. الخ .

٧. تشجيع الطلبة على إكمال دراساتهم الجامعية وتوفـــير التســـهيلات المادية وغير المادية التي تعينهم على ذلك ، مع ضمان تعيينهم بعد تخرجهم من الكليات والجامعات .

٨. حث الطلبة على عدم المزاوجة بين الدراسة والعمـــل ، لان مثـــل هذه المزاوجة تسبب تلكؤ مسيرتهم العلمية او قد تؤدي الى تســربهم من الدراسة كليةً . ويمكن القيام بهذا الإجراء بعد تخصيص المنـــح المالية للطلبة التي تجعلهم يركزون على دراساتهم بعيدا عن امتهان أثناء الدراسة .

الخلاصة والاستنتاجات :

يؤثر الشباب في عملية التنمية الاجتماعية وتؤثر عملية التنميـــة الاجتماعية في الشباب ولا يمكن فصل العمليتين بعضهما عن بعـــض . ذلك ان هناك علاقة جدلية بين الشباب والتنمية الاجتماعية فـــلا تنميـــة بدون شباب ولا شباب بدون تنمية وتطوير وصقل المواهب والإمكانات والطاقات الكامنة والظاهرة التي يتمتعون بها .

يهدف البحث الى تحقيق ثلاثة أغراض مهمة هي ما يلي :

١. توضيح الدور الذي يمكن ان يؤديه الشباب فـــي عمليـــة التنميـــة الاجتماعية ، وتوضيح دور التنمية الاجتماعية في تنميـــة قـــدرات وإمكانات الشباب الظاهرة والكامنة .

٢. تحديد ماهية حقوق الشباب في المجتمع وتجسيد طموحاتهم الذاتيـــة والمجتمعية .

٣. تشخيص المشكلات التي يواجهها الشباب والتي تعيق عملية تنميتهم الاجتماعية مع تحديد المعالجات والتوصيات التي من شانها ان تعالج هذه المشكلات وتطوق آثارها السلبية والهدامة على الشباب والمجتمع .

يواجه الشباب في المرحلة الراهنة عدة مشكلات لعل من أهمها المشكلات التنشيئية والتربوية والمشكلات الاقتصادية والمشكلات الترويحية واستثمار وقت الفراغ واخيرا المشكلات التربوية والتعليمية ، ومثل هذه المشكلات تحول دون انتشار معالم التنمية الاجتماعية في المجتمع . بيد ان مواجهة مشكلات الشباب وقهرها لابد ان تقود الى ظهور المناخ المناسب للتنمية الاجتماعية ، هذه التنمية التي تطور ملكات الشباب وتفجر طاقاتهم المبدعة والخلاقة . وإذا ما حدث هذا فان الشباب يكونون أدوات فاعلة للتنمية والتطوير واعادة البناء الحضاري للمجتمع .

مصادر البحث :

1. Kempt, H.S. Youths As an Instrument of change, London, The Sunny Press, 2000,p.11.
2. Allen, R. Youths and Social Development, Glasgow. West Corner Press, 1998,pp.53-54.
3. Cerdrics, J.Interrelationship Between Youths and Social Development, The Narrow lane press, New York, 2001,p.93.

٤. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . مشكلات الشباب في مجتمع متغير، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد ١٤ـ١٥، ٢٠٠٠ ، ص٢ .

٥. المصدر السابق ، ص٣ .

٦. المصدر السابق ص٥ .

٧. المصدر السابق ص٦ .

٨. حسن ، كامل سيرمك . بعض المشكلات التي يعاني منها الشباب في العراق وطرق علاجها . أطروحة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٢، ص ٢٠٢ .

٩. المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

10. Hob house, L.T. Social Development, London, Heinemann, 1979, p.9.
11. Ginsberg, M. Sociology, London. Oxford University press, 1980, 3ed Ed., p.129.

١٢. محمد حسن ، عبد الباسط (الدكتور) التنمية الاجتماعية ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص١٤ .

١٣. المصدر السابق ، ص ١٥ .

14. Hob house, L.T. Social Development, p.74.
15. Tomas, Pal. Role of Youths in socio-economic Development, Allami press, Budapest, 2000, p. 29

١٦. البطريق ، محمد كامل واخرون ، تنمية المجتمـــع المحلـــي ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ، ص١٨٩ .

17. Rosemary, R.F. Youths and Social Development, London, 1998, P31.
18. Ibid.,P.35.
19. Ibid.,P.40.
20. Ibid.,P.45.
21. Ibid.,P.51.
22. Aczel, Georgy. Youths and Changing Values in modern Society, Budapest. 1999, P.7.
23. Sultan, Vas Peter. Work, Leisure and the problems of youths, Academy press, Budapest, 2000, p.55.
24. Aczel , Georgy. Youths and Changing Values in modern Society, Budapest. 1999, P.19.
25. Ibid.,p.127.
26. Ibid.,p.130.
27. Lip set, S. Youths and Social Mobility, New York , Jone Wiley and Sons, 1998, p. 50.
28. Peters, Y. Youth's Rights and Ambitions, London, the modern press, 1997, p.26.
29. Ibid.,P.32 .
30. Ibid.,P.49 .

٣١. الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . مشـــكلات الشـــباب فـــي مجتمع متغير (مصدر سابق) ص ٢ ـــ ٤ .

٣٢. المصدر السابق ، ص ١١ .

٣٣. المصدر السابق ، ص ١٢ .

٣٤. المصدر السابق ، ص ١٣ .

٣٥. المصدر السابق ، ص ١٤ .

الشيـــب ... وبكـــاء الشبـــاب
في الشعر الجاهلي

أ.د. أحمد إسماعيل النعيمي
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

الملخص :

تشير حصيلتــــي اســتقرائنا لطائفـــة مـــن الدواويـــن والمختارات الشعرية الموثقة إلى أن الشيب قد تبلور موضوعــاً شعرياً ذا محتوى فكري واضح المعالم في عدد من القصـــائد ، إذ تارة يستقل بلوحة الشيب وتارة ثانية يكون رديفاً للوحـــــات داخلية أو موضوعية ومن هنا يمكن القول أن المســـاحة التـــي يشغلها الشيب في إطار وتلك البنية رهـــن بجمـــاة معطيـــات أبرزها حجم التأثير الذي يتركه الشيب في نفوس الشـــعراء ، ومما تجدر الاشارة إليه أن الشيب لم يكن المرأة التي تعكـــس هموم الشاعر وهاجسه من أعباء العمر أو (الزمن) حســب . انما هو ايضا انعكاس لمواقف الناس مــن الشــيب والمشــيب على السواء .

ثنائية الحياة والموت ...

من المعروف أن إنسان عصر الحضارات القديمة كان قد خالجته رغبة في نيل الخلود إنطلاقاً من غريزته في حب البقاء ، وتطلعه إلى مشاركته الآلهة استئثارها بالحياة الخالدة ، وفزعه من الموت ، ومخافته من العالم الأسفل الذي رسمته مخيلته بأنه " مصدر تأتي منه الشياطين والأرواح الشريرة ، والبيت الذي لا يرجع منه من دخله ، وقد حرم ساكنوه من النور ، حيث التراب طعامهم والطين قوتهم"[1]. فضلاً عن قلقه مما سيفعله علو السن بالجسد من ضعف وتهافت ! وذلك مما تلمس أبعاده في " ملحمة كلكامش " الذائعة الصيت . ولا سيما أن سرَّ الخلود الذي سعى إليه بطلها كان كامناً في عشب سحري يسمى بـ " الرجل الكهل يعود شباباً .[2]

وعلى الرغم من المضامين الاسطورية التي حفلت بها الملحمة في صياغتها الفنية الشعرية ، إلى أنها أكدت حقيقة فحواها أنّ مواجهة المرء للموت ومحاولة قهره والتغلب عليه ـ وإن كان من أشباه الآلهة ـ غير ذات جدوى ، وأن التمرد على قانون الزمن الصارم وحدوده المرسومة لم يكن ذا جدوى أيضا .

ويبدو أن تقبل الإنسان القديم لهذه الحقائق ، لم يمنعه من التعبير عن معاناته من حتمية الموت ، والشكوى من الزمن الذي يسوقه إليه ـ في نهاية الأمر ـ طال الشوط أم قصر !

---

[1] ملحمة كلكامش ، طه باقر ، بغداد ١٩٧ : ص١٠٤ .

[2] الفلكلور في العهد القديم ، جيمس فريز ، ترجمة : د. نبيلة إبراهيم مصر ١٩٧٣ ، ١/ص٥٢ .

ولعل بكاء " كلكامش " بعد ظفره بذلك العشب وفقده أياه[٣]، يفصح عن تلك المعاناة إزاء الموت ، بوصفه نهاية حاسمة لوجوده من جهة ، وازاء الزمن من حيث أنه صانع الموت ! من جهة أخرى . حتى أستقر في الوعي ــ خلال تلك الحقبة التأريخية الموغلة في القدم . أن الزمن هو من يمتلك قوة الأفناء ، أو القاتل الخفي الذي لا يفلت أحد من براثنه ، وقد بقيت آثار هذه النظرة في معتقدات مجتمعات إنسانية لاحقة ، ومنها المجتمع العربي ــ قبل الإسلام ــ إذ شارك تمثل تطبيقها ــ على ارض الواقع ــ في تشخيص بعض العرب الزمن أو الدهر الذي يرادفه كثيراً بآلهة بعينها ، التمسوا منها إبعاد ما يكرهون من موت أو فرقة ، وشقاء وبؤس[٤]... وذلك ما حكاه لنا القرآن الكريم على لسان المشركين في قوله تعالى : (وقالوا مَا هِي إلا حَيَاتنا الدُّنيا نَموتُ ونَحيا وَما يُهلكُنا إلاَّ الدهرُ)[٥].

أي زعموا ان الذي يهلكهم هو مر الليالي والايام وطول العمر ، إنكار منهم ان يكون الله ــ جل وعز ــ هو من يهلكهم ويفنيهم. فضلا عن أشعارهم المفصحة عن المنطلق نفسه ، ولعل أقدر النصوص

---

[٣] أنظر : هو الذي رأى (ملحمة قلقمش) عبد الحق فاضل ، بغداد ، ط الثانية ١٩٨١ : ص٤٠٣ ، وكلكامش (اللوح الحادي عشر) د. سامي سعيد الأحمد ، بغداد ١٩٩٠ : ص٢٠٠ــ٢٠١

[٤] أنظر : الحياة والموت في الشعر الجاهلي د. مصطفى عبد اللطيف ، بغداد ١٩٧٧ : ص٨٨ وما بعدها ، والاسطورة في الشعر العربي ــ قبل الإسلام ــ أحمد إسماعيل النعيمي ، دار سينا ، مصر ١٩٩٥ : ص٢٤٠ ــ ٢٤١ .

[٥] الجاثية : ٢٤ .

الملخصة هذا التصور ، قول ذي الأصبع العدواني :

أهلكنَا الليلُ والنّهارُ معَـــاً   والدّهرُ يعْدُو مُصَمّماً جَذَعا[٦]

وقول أبي الطمحان القيني :

إنّ الزّمانَ ولا تُفْنَى عَجَائِبُه   فيه تَقطُّعُ الآفِ وأقــرانِ[٧]

إلى جانب تظلم الشعراء وشكواهم من الزمن تـــارة ، ونعتــه بصفات غير مستحبة تارة ثانية ، وشتمه ــ في بعض الأحايين ــ تارة ثالثة[٨]. ومعنى ذلك كله أنّ الزمن شكل هاجس من هواجـــس النفــس الإنسانية وباعثا من بواعث قلقها ومعاناتها ، ولعل طرفة بن العبد أقدر من أومأ إلى ذلك بأوجزلفظ وأوفى معنى في قوله :

أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كل ليلةٍ   وما تنقُص الأيامُ والدّهْر ينْفدِ[٩]

وما ينبغي أن نتأمله في هذا الشأن هو أستقراء نتـــاج شـــعراء العصر من زاوية رصد تنبئ بالإحساس المادي بالزمن ، أو بما يجعلــه شاخصا للعيان ، ويوقظ الشعور بجريانه ، ويثير في النفس المخـــاوف من أعبائه ويرغمها على الاستعبار بحوادثه !

ويبدو أن الشيب هو في أوجز معانيه واوضحها " بياض الشعر أو الشعر الأبيض نفسه"[١٠] كان ذلك الشاخص الذي يجعـــل المــرء "

---

[٦] ديوان ذي الأصبع العدواني ، جمعة وحققه عبد الوهاب العدواني ومحمد نـــايف الدليمي ، الموصل ١٩٧٣ : ق٩/ ص٥٥ .

[٧] البيان والتبيين ، الجـــاحظ ، تحقيـــق : عبـــد الســـلام هـــارون ، القـــاهرة ، د.ت :١/ص١٨٧ .

[٨] أنظر : الاستشهادات الشعرية الكثيرة في هذا الشأن في " الحياة والمـــوت فـــي الشعر الجاهلي " : ص٩١ وما بعدها .

[٩] ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت د.ت : ص٣٤ .

[١٠] لسان العرب : ابن منظور ، بيروت ١٩٥٦ : شيب .

المشيب أو الداخل في حد الشيب"[١١] مدركا حسيا وشعوريا جريان الوقت في كينونته من جهة ، والقرينة المفصحة عن إدبار الشباب واقبال الشيخوخة ، وتناقص الأعمار ونفادها من جهة أخرى .

والشيب على وفق هذا التصور يتضمن بعدين رئيسين أولهما زمني صرف ، كونه يؤشر مقدار أعمار الناس في فلك الحياة الجاري بجريان الزمن . وثانيهما : ذاتي أو شخصي من حيث إمتزاجه بالنفس وحركتها وتفاعلها في مجري الأحداث[١٢].

وكان لابد من أن يشكل كلا البعدين منطلقاً فكرياً في نتاج الشعراء ولا سيما من علاهم الشيب ، يبلور ردود أفعالهم إزاءة ، إلى جانب تحديد طبيعة نظرتهم الى الكون والحياة والموت والناس والمرأة والشباب والكهولة ، أو بكلمة أخرى يجيب عن تساؤل هو : كيف يلوح الشيب لعينيهم ، ويقع في روعهم ويتمثل في ابداعهم وخيالهم ؟! .

لوحة الشيب ... في بنية القصيدة :

تشير حصيلة استقرائنا لطائفة من الدواوين والمختارات الشعرية الموثقة إلى أن الشيب قد تبلور موضوعاً شعرياً ذا محتوى فكري واضح المعالم في عدد من القصائد ، إذ تارة يستقل بلوحة افتتاح تسمى بـ " لوحة الشيب " على غرار لوحات الأفتتاح الآخر من مثل (الطلل ، أو الخمر ، أو الطيف وغيرها) وتارة ثانية يكون رديفاً للوحات داخلية أو موضوعية عندما يستعين به الشعراء للتعبير عن تجاربهم الشعرية المختلفة ، وذلك ضمن بنية القصيدة المكتملة فنياً ، أو

---

[١١] المصدر نفسه : شيب

[١٢] أنظر : الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، عبد الآله الصائغ ، بغداد ١٩٨٢ : ص٢٦٦ .

ذات اللوحات الفنية أو الموضوعات الشعرية المتعددة .

وإذ نطمئن إلى هذه المعطيات ، فاننا لا نجد مسوغاً لتجاوز القدماء للشيب لدى محاولاتهم تقسيم الشعر العربي الجاهلي منه وغير الجاهلي إلى موضوعات تقليدية وغير تقليدية باختلاف مسمياتها وعددها ، على نحو ما نطالعه عن أبي تمام في " حماسته " وأبي هلال العسكري في " الصناعتين " وقدامة بن جعفر في " نقد الشعر " وابن رشيق في " العمدة " على سبيل المثال لا الحصر .

وإن كانت وجهة نظرنا لا تقر بدراسة الشعر في أي عصر أدبي من خلال الموضوعات التقليدية ، إنما الأجدى أن تكون الدراسة رصداً لمؤثر حسي أو معنوي في الشاعر (مبدع النص) بوصفة كائناً بشرياً مؤثراً ومتأثراً وما يتمخض عن هذا التفاعل من مشاعر وعواطف وأحاسيس تختلج الشاعر ، فضلاً عما يكتسبه من تجارب تؤطر في فكرة أو منطلقات فكرية تودع في قالب فني عادة ما تتحدد ملامحه على وفق خصوصية كل فكرة أو تجربة حياتية بعينها .

ومن هنا يمكن القول أن المساحة التي يشغلها الشيب في إطار تلك البنية رهن بجملة معطيات أبرزها حجم التأثير الذي يتركه الشيب في نفوس الشعراء ، وطبيعة موقفهم من الأحداث التي تستدعي حديثهم عنه بهذا القدر أو ذلك ، أو الظرف الآني الباعث على القول الذي يعول عليه في تقرير حقيقة ان كان الشيب غاية أو وسيلة في صميم التجربة الشعرية . ومما تجدر الأشارة إليه أن الشيب لم يكن المرآة التي تعكس هموم الشاعر وهاجسه من أعباء العمر أو (الزمن) حسب ، أنما هو أيضا انعكاس لمواقف الناس من الشيب والمشيب على

السواء . وذلك ما ينبغي لنا أن نحسب له حسابه في أية قراءة تحليلية لهذه اللوحة الفنية أو تلك ، أو لهذا النص الشعري أو ذلك .

المشيب ... وموقف المرأة منه :

إذا ما سلمنا بحقيقة وصف المرأة بـ (ملهمة الشعراء) .. لغريزة الحب المتبادلة بين طرفي المعادلة ـ ان جاز التعبير ـ الرجل والمرأة ، وأثرها في النشاط الإنساني ، أدركنا دواعي حضورها الفاعل، أو شغلها حيزا واسعا من النتاجات الشعرية والأدبية ، ان كانت حبيبة أو زوجة ـ في الأغلب الأعم ـ أو أما أو أختا أو بنتاً أيضا .
ويفيدنا فيما نحن بشأنه ، ذلك الاستقراء الذي نهض به أحد الباحثين حول حضور صور المرأة في القصيدة الجاهلية ، إذ أكد ـ في خلاصته ـ أن (لوحة الشيب) التي تضمها إفتتاحيات بعض القصائد ، هي من اغزر اللوحات احتضانا لها ، بسبب ـ كما يرى الباحث ـ " أنّها تطوع عنصر المرأة ضمن ما تطوعه من عناصر لتقيم منطلق حوار صريح أو خفي يشخص معاناة الشاعر من خلال تأمله المأساوي لأثر الزمن في تحول المرأة عنه ، وأعراضها عن سمات الشيخوخة التي أسرعت إليه "[١٣]وتلك هي الحقيقة التي يبقى الشعر أفضل شاهد على تثبيت معطياتها وحسبنا في هذه الطائفة من النصوص التي تقرر منطلقاً تكاد تتفق عليه كلمة شعراء العصر ، وذلك في إيجازها نظرة النساء إلى الرجال على نحو ما نتأمله في قول امرئ القيس

أراهُنّ لا يُحببْنَ منْ قلَّ مالُـــه وَلاَ منْ رأينَ الشيبَ فيه وقَوّسَـا[١٤]

---

[١٣]دراسات نقدية في الأدب العربي ، د. محمود الجادر ، بغداد ١٩٩٠: ص٢٢.

[١٤]ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٨٤ : ق١٣ / ص١٠٧ .

وعلقمة الفحـــل :

فـــإن تسألوني بالنســـاء فإنني بصيـــرٌ بأدواءِ النســـاءِ طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُه فليس له مـــن ودِّهنَّ نصيبُ[١٥]
يُردنَ ثراءَ المـــال حيثُ علمنَـــهُ وشرخُ الشبابِ عندهنَّ عجيبُ

وكان قد أبتدأ هذه الابيات بمطلع مشهور ، ينـــازع قلبـــه فـــي هواه ، ويميل به إلى الأتزان والتعفف ، وقـــد فـــارق الشـــباب ، ولاح الشيب في رأسه ، وهو قوله :

طَحَا بِكَ قلبٌ في الحِسانِ طَروبُ بُعيدَ الشبابِ عَصرَ حانَ مَشيبُ[١٦]

والأعشى القائـــل :

وأرى الغواني حين شبتُ هَجَرْنَني أنْ لا أكونَ لهـــنَّ مثلي أمـــردا
إنَّ الغوانـــيَ لا يُواصِلْنَ امـــرءاً فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمـــردا[١٧]

ويبقى ولوج نصوص شـــعرية أخـــرى قـــد يغنـــي الأحاطـــة بالتفاصيل ، واستشراف تجارب الشعراء الذين أبتلوا بالشيب ن وذاقـــوا مرارة اعراض المرأة عنهم ، والوقوف على ردود أفعالهم إزاء ذلـــك الأعراض ، إلى جانب ما اصطنعوه من (حسن تعليل) يـــداوون بـــه جراحهم النازفة ، كانوا قد أودعوها في (لوحة الشيب) التـــي كـــانت مفتتح بعض القصائد ذات البنية الفنيـــة المكتملـــة ، أو الموضوعـــات الشعرية المتعددة ــ كما أسلفنا ــ ولعل (ميمية) الأسود بن يعفر أقدر الافتتاحيات على تطويع لوحة المرأة لأستعياب آثار المعاناة الموضوعية

---

[١٥] ديوان علقمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقال ، ودرية الخطيب ، حلـــب ١٩٦٩ : ق١ / ص٣٥ .

[١٦] المصدر نفسه : ص٣٢ .

[١٧] ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق محمد محمد حســـين ، مصـــر ١٩٥٠ : ق٣٤ / ص٢٢٧ .

المتولدة في نفس الشاعر أثر قطيعتها إياه ، بعد اجتماع وود ، واتخاذها خليلا آخر ، ما إن رأت شيبه ، ومفارقته الشباب ، ويبـــدو أنّ أتجـاه الشاعر إلى الفخر " هو رد فعل مشروع لتجاوز المعاناة ، والانطبــاع غير المستحب الذي تخلفه علامات شيبه في نفس المرأة العاذلـــة "![١٨] ألى جانب تعلله بشرب (الغبوق) فهي وحدها مـــن تنسـيه همومـه وأحزانه وتميله عن حاجته وهواه ، وذلك ما تضمه هذه الأبيات :

قد أصبحَ الحبلُ من أسماءَ مصروما ... بعدَ ائتلافِ وحُبٌّ كـان مكتومـا

واستبدلتْ خلــةً مني وَقَــدْ علمـت ... أن لن أبيتَ بوادي الخسف مذموما

عفٌّ صليــبٍ إذا ما حُلْبَــةٌ أرمـتْ ... من خيرِ قومك موجوداً ومعدوما

لما رأتْ أنّ شيبَ المــرءِ شامِلــهُ ... بعدَ الشبابِ وكانَ الشيبُ مسؤومَا

صدّتْ وقالتْ : أرى شيباً تفرعــــه ... أنّ الشبابَ الذي يعلو الجراثيما [١٩]

ومن هذا الباب تطالعنا (لامية) زهير بن أبي سلمى ، وهو يعـوض لنا معاناته إزاء إعراض العذارى عنه ، بعد إعراض الحبيبة (سلمى) عندما شمل الشيب رأسه ، حتى غدا يُنادى بـــالعم أثــر تركــه لــهو الصبا ، وصارت ركابه جامةً ، وقد كان يحسرها ، وذلك مـــا أثارتـه وقفته عند أعتاب طلل (سلمى) ، وأوحت إليه هذه الأبيات :

صَحَا القلبُ عن سلمى وأقصَر باطلُهْ ... وعرِّيَ أفــراسُ الصِبَّـا ورواحِلُــــهْ

فأصبَحْنَ مـــا يَعْرِفــــنَ إلاّ خَلِيقتـــي ... وإلاّ سوادَ الــرأسِ والشيبُ شامِلُــهْ[٢٠]

---

[١٨] دراسات نقدية في الأدب العربي : ص٢٢

[١٩] ديوان الأسود بـــن يعفــر ، صنعـــه د. نـــوري القيســـي ، بغـداد ١٩٧٠ : ق٦١ / ص٦٠ .

[٢٠] شرح ديوان زهير بـــن أبـــي ســـلمى ، صنعـــه ثعلـــب ، القـــاهرة ١٩٦٤ : ص١٢٤ ــ ١٢٥ .

وكانت تجربة (النمر بن تولب) تشـابه تجربـة زهـير ، إذ هيّجتْ اطلال منازل (دعد) الدارسة ، ذكرى حزينة في نفسـه ، يـوم عيّرته بشيخوخته ، ومفارقته مرحلة الفتوة والشباب ، ولم يجد غـير الفخر بنفسه سبيلاً إلى تجاوز معاناته ومحنته ، فقال في هذا الشأن :

أشاقَتْكَ أطلالٌ دوارس مِنْ دَعْدِ	خَلاءٌ مغانيهـا كَحَاشيةِ البُـرْدِ
على أنها قالـتْ عشيةَ زُرتُها	هُبِلْتَ ألَمَ يَنْبتْ لذا حلْمُه بعـدي
ألستَ بشيخٍ قد خُطِمتَ بلحْيـةٍ	فيُقصرَ عن جَهْلِ الغرانقة المُرْدِ
وإنّي كما قـد تعلمينَ لأتّقـي	تُقاي وأعطي من تِلادي للحمدِ[٢١]

وكان رد فعل (النمر بن تولب) فـي تجربـة أخـرى إزاء إعراض النساء عنه ، واخلافهن عهده ، بعد أن علا الشيب رأسه بعـد سواده ، صرخة معبرة عن حزنه وألمه ومتنفس له ليقـول أن الشـيب ليس بآفة تلحق بالمرء كما تراه (النساء الجواهـل) ولنـا أن نتـأمل منطلقات الشاعر في هذه الأبيات :

لَعمري لقدْ أنكرتُ نفسي ورَابنـي	خلائقُ منها لَـمْ تَكنْ مِنْ شَمائِلي
مُطاوعَتي مَنْ كنتُ لسـتُ أطيعُـه	وإنّي أرى بثّي عَنْ اللهوِ شَاغِلـي
وأصبحتُ قد أعرَضْنَ عنّي وسُؤنني	وأخلفنني عهـد الخليلِ المماطـل
ألاَ أنّ شيبَ الرأسَ ليـسَ بآفـةٍ	تَضيرك إلاّ في النساءِ الجَواهِلِ[٢٢]

أما (عوف بن عطية بن الخرع التيمي) فالتمس تذكر شـبابه وفتوته ومزاولته الميسر في كرام الأبل ، عندما كان يشـيع الخصـب والرخاء في جيرانه وأهل مقامته ، ليسـكت سـخرية الحبيـة (فطيمـة) منه ، بعد أن رأته شيخاً هزيلاً عليلا خلاف أولئك الشباب ذوي القـوة

---

[٢١] شعر النمر بن تولب ، صنعه الدكتور نوري القيسي ، بغـداد ١٩٦٩ : ق١٥ / ص٥١ ــ ٥٢ .

[٢٢] المصدر نفسه : ت٣٤ / ص٩٦ .

والنضارة ، فنطالع ما كان يكابده ، وحنينه إلى أيام شبابه في قوله :

سَخِرتْ فُطَيمةُ أنْ رأتني عاريــــاً	جَرَزِي إذا لم يُخفِه ما أرتـــدي
بَصُرتْ بفتيـــانٍ كأنَّ بَضيعهُـــمْ	جُرذانُ رابيةٍ خلتْ لــم تُصْطــد
إمَّا تَرَيْني قــد كَبِــرْتُ وشفَنــي	وَجَعٌ يُقرِّبُ في المجالس عُــودِّي
فلقد زَجَرتُ القِدْحَ إذْ هَبّـتْ صَبَــاً	خَرقاءُ تقْذِفُ بالحِظــار المُسْنَــد
في الزاهقات وفي الحُمُولِ وفي التي	أبقتْ سَنَاماً كالغَرِيِّ المُجْسَــدِ[٢٣]

وذلك صنيع (ربيعة بن مقروم الضبي) أيضاً ، عندما لم يجد غير الذكرى وسيلة يتعلل بها إثر تقطع ود الحبيبة (زينب) له ، وبُعدِهـــا عنه ، بعد أن غدا " مبيض العذارين أشيبا " ، وهذا مــا جعلــه أن لا يلتفت إلى لوم العاذلات ، ويطاوعهن ، وقد كان قبل ذلك أباءً عليهن ، موافقاً عذلهن .. وهو على الرغم مما آل إليه ما يــزال جلــداً يقــاوم الخصوم ، ويعدل أعوجاجهم ،ملتمسا في هذا الاحساس بالقوة ما يرجع وصل الحبيبة .. فنطالع في هذا الشأن قوله :

تذكّرتُ والذكرى تَهيجُكَ زَيْنَبَــاَ	وأصبحَ باقي وَصلِهــا قد تَقَضّبَــا
وَحــلَّ بفلْجٍ فالأباتــرِ أهلُنــا	وشطّــتْ فحلّــتْ غَمْــرةً فمُثَقّبَّــا
فإمّــا تَرَيْني قــد تركتُ لجَاجَتــي	وأصبحتُ مُبيضَّ العِذارين أشيَبَــا
وطاوعتُ أمرَ العاذلاتِ وقــد أُرى	عليهِــنَّ أبّــاءَ القَرينــةِ مشْغَبــاً
فيارُبَّ خَصْمٍ قــد كُفيتُ دفاعَــــهُ	وقوَّمْــتُ منــه درأهُ فتنكّبَــا[٢٤]

ويعوّل (ربيعة الضبي) أيضاً في نص آخر بعـــد أن لاحــه

---

[٢٣] الأصمعيات ، الأصمعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هـــارون ، مصر ١٩٧٦ : ق٦٠ / ص١٧٠ .

[٢٤] المفضليات ، المفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون ، مصر ، ط٣ ١٩٦٤ : ق١١٣ / ص٣٧٥ .

شيب ، على الفخر بحلمه ، ووفاته ، ومروءته ، وكرامته ، وفروسيته ، وشجاعته ، ليرد على مفارقة خليلته (الرواع) إياه ، وعزوفها عنه ، وتغييرها له بأنه شيخ كبير ، إذ يقول :

ألاَ صرَمتْ مَودَّتَكَ الــرُّواعُ … وَجدّ البينُ منها والـوَدَاعُ

وقالتْ إنَّــهُ شيــخٌ كبيــرٌ … فَلَجٌ بها ولم تَرعِ آمتنَـاع

فإمَّا أمسِ قد راجعتُ حِلمِـي … ولاحَ عليَّ من شيْبٍ قِنَـاعُ

فقد أصِلُ الخيــلَ وإنْ نآنــي … وغِبُّ عَدَاوتي كَلأٌ جُـدَاعُ

واحفظ بالمَغيبةِ أمْرَ قومـي … فلا يُسْدى لَديَّ ولا يُضَـاعُ

ويَسْعَدُ بِي الضريك إذا اعتراني … ويكْرَهُ جانبي البطلُ الشُّجاعُ[٢٥]

وكان إنكار الشيخوخة ، والتمسك بروح الشباب والتصابي ، هو ما عوّل عليه بعض الشعراء في تبديد مشاعر الأسى والحزن التي يخلفها إعراض النساء عنهم ، وتجاهلهن لهم ... فهذا امرؤ القيس واحد من هؤلاء الشعراء إذ نطالع بعد وقفته الطللية في مفتتح مطولته " ألاعم صباحا .. " أبياتاً أقرب ما تكون إلى محاورةٍ يكذّب فيها ما زعمته المرأة (بسباسة) من أنه لا يحسن اللهو لكبره ، من خلال تأكيده لها أنّ النساء يصبونَ إليه لجماله وحسنه ، وأنه ما زال متمتعاً بنضارة تمنع من أن تمد أي أمرأة طرفها إلى غيره كما قوله :

ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسةُ اليــومَ أنّنــي … كبِرْتُ وألاَّ يُحسِنُ اللَّهوَ أمثالــي

كذبْتِ لقد أُصبي على المرءِ عِرْسَهُ … وأمنعُ عِرسي أن يُزَنَّ بها الخالي[٢٦]

وفي اجابة (دوسر بن ذهيل القُرَيْعي) عن تسأؤل احدى النساء المفعم بالسخرية من مظهره وشيبه وأسباب تركه لَهْوَ الصِّبَا ، ما يقع في هذا المجرى أيضاً ، عندما رسم أبعاد صورة تقوم على التفريق بين

---

[٢٥] المصدر نفسه : ق٣٩ / ص١٨٦ .

[٢٦] ديوان امرئ القيس : ق٢/ص٢٨ .

مظهره وجوهره ، فاثوابه التي تراها تلك السائلة ممزقة بالية هي كغمد بال لنصل سيف شبه نفسه به ، وان لم يحل دون إحساس بأنه مـا زال في أول الشباب وأفضله ، ناقلا لنا هذه المحاورة في قوله :

وقائلةٍ ما بـالُ دَوْسَرَ بَعدَنـا ... صحَا قلبُهُ عن آل ليلى وعَنْ هند

فإن تَكُ أثوابي تَمَزّقْـنَ للبلَـى ... فإنّي كنصل السيف في خلَقِ الغمْدِ

وإنْ يكُ شَيْبٌ علانـي فُربّمـا ... أراني في رَيْعِ الشّباب مع المُرْدِ[27]

إمّا (الاعشى) فيبدو منفرداً عن غيره من الشعراء ، عندمـا قرر أن يصل حبل الود من (سلمى) بعد أن أنقطـع لطـول الـهجر والاجتناب ، وبعد الشيب يبغي ودها ، وهو من قرّر أيضـاً أن يكـفَ عنها ، بعد أن قاسى العذابَ في حبها من قبلُ ! مشبهاً حاله بالزجاجـة التي لا تلتئم إذا تحطمت وأن شدت بعصاب ، فيقول في بائية له :

أوصتَ صُرمَ الحَبْـل مـن ... سلمـى لطـول جِنَابِهـا

ورجعتَ بعد الشّيـب تبْـ ... ـغي وُدُهَـا بطِلابِهـا

أقصِـرْ فإنّـكَ طالمَـا ... أوضعْـتَ في إعجَابِهـا

أولَنْ يُلاحَـمَ فـي الزُجـا ... جةِ صَـدْعُها بِعصَابِهـا[28]

ويبدو أن عزو الشيب إلى الخطوب والحوادث ، لا إلـى كـبر السن ، وتقدم العمر ، كان حسن تعليل من شعراء آخرين ، لأدامة تعلق النساء بهم وتجاوز أعراضهن عنهم ، إذ كانت " الحبيبة تثير في نفـس المحب أهتمامه الكبير بشأنها ، ولهذا نجدها موضع عنايته يتوجه إليـها بجليل أعماله ، وصفات فروسيته الكرية "[29]. وذلك ما نطالعه في قول

---

[27] الأصمعيات : ق٥٠ / ص١٥٠ .

[28] ديوان الأعشى الكبير : ق٣٩ / ص٢٥١ .

[29] المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي ، بغداد ١٩٦٠ : ص١٢٩ .

(عروة بن الورد) وهو يرد على سؤال خفي لمحبوبته كان قد أثارها ما علاه من شيب قائلاً :

فما شَابَ رأسي من سنينَ تتابعتْ ... طوال ولكن شيَّبتْهُ الوقائعُ[٣٠]

وكان ذلك منطلق (عمرو بن معد يكرب) أيضا ، إذ يخبرنا أن شيبه الذي تعجب له (أمامة) ليس مما يعيب ، فهو خضاب الحوادث وما أثرت فيه أهوال الحروب التي خاضها كما في قوله :

وقدْ عجبتْ أُمامةُ أنْ رأتني ... تفرع لِمَتي شَيبٌ فظيعُ

أَشابَ الرأسَ أيامٌ طوالٌ ... وهمّ ما تبلغُه الضلوعُ

وَسَوْقُ كتيبةٍ للقاءِ أخرى ... كأن زهاءها رأسٌ صليعُ[٣١]

وهذا (عبد الله بن جنح النكري) الذي تسبب (شيبه) بمقاطعة الجميلات له وسخريتهن به ، يرى أن بياض رأسه ليس من علو سنة ، وتقدم عمره ، وإنما هي الحروب شيبن رأسه ، مؤكدا لتلك النسوة أنه ما زال ذلك القوي الذي يقتحم الاهوال ويذب عن الحريم ، وقد سرد لنا ما دار بينه وبينهن في هذه الأبيات :

زَعمَ الغواني أنْ أَرَدْنَ صَرِيمتي ... أنْ قد كَبِرْتُ وأدبرتْ حاجاتي

وضَحِكْنَ مني ساعةً وسألنني ... مُذْكَمْ كذا سنةً أخذتُ قَنَاتي

ما شِبتُ من كِبَرٍ ولكنّي امرؤٌ ... أغشى الحروبَ وما تَشِيبُ لِدَاتي

أحمي أناسي أن يُباحَ حريمُهُمْ ... وَهُمُ كذاك إذا عُنِيتُ حُمَاتي[٣٢]

ومن النصوص التي تفردت بصورها وأبعادها الفكرية ، مفتتح بائية (معاوية بن مالك) وهو (معوِّد الحكماء) في تضمنها الاشارة

---

[٣٠] ديوان عروة بن الورد، تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق ١٩٦٦: ص٥٦ .

[٣١] ديوان عمرو بن معد يكرب ، صنعه هاشم الطعان ، بغداد ١٩٧٠ : ق٥٢ ، ص١٣٩ ــ ١٤١ .

[٣٢] الأصمعيات ، الأصمعي : ق/ ص١١٤ .

إلى أنه وحبيبته (سلمى) قد أضحيا كبيرين يعلوهما الشيب ، فأقصر كل منها عن جهل الصبا ، كما شابت لداته من النساء وعدلن عنه مسترجعاً أيام صباهما ، يوم كانت (سلمى) فاتنة الرجال ، وكان هو قانص النواهد ، حتى يعلن وفاءه لذلك العهد البعيد في وقفته عند اعتاب اطلاها بعد قوله :

أَجدّ القلبُ من سلمى اجْتنابا ... واَقْصَرَ بعدما شابتْ وَشَابا
وشابَ لداتُهُ وعَدَلْنَ عنه ... كما أنْضيْتَ من لُبْس ثِيابا
فإن تَكُ نَبْلُها طاشَتْ ونَبْلي ... فقد نَرمِي بها حِقَباً صِيَابا
فتصطادُ الرجالَ إذا رَمتهُم ... واصطادُ المخبّأةَ الكَعَابا[٣٣]

ولم يقتصر الأمر على اعراض الحبيبة أو الزوجة عن الشعراء المبتلين بالشيب إنما تجاوزه إلى أثارة شجون البنت ، ومخاوفها من كبر أبيها وعلو سنه ، حتى أنها لم تكن تُسّر بمنظره عندما علا الشيب رأسه ، وذلك ما نلمحه في هذه المحاورة الشعرية بين الشاعر الأب (اعصر بن سعد بن قيس عيلان) وابنته (عُميرة) ، المتضمنة أجابته عن استغرابها لشيبه الذي لم يجد سببا يعزو إليه ظهور الشيب غير الهموم وتبدل الأحوال ... وذلك ما أودعه الشاعر لنا في هذين البيتين :

قالتْ عُميرةُ : ما لرأسِكَ بعدَما ... نفد الزّمانُ أتى بلون مُنْكرِ
أعُميرَ إن ابـاكِ شَيّبَ رأسَهُ ... كرّ الليالي واختلافُ الأعْصرِ

وقد عدّ ابن سلام الجمحي في " طبقاته " هذين البيتين مما يروى من قديم الشعر وأنه سمي (اعصر) وهو (منبه أبو باهله وغني والطفاوة) لقوله هذا .[٣٤]

---

[٣٣] المفضليات ، المفضل الضبي : ق١٠٥ : ص٣٥٧ .

(٣٤) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه محمود شاكر القاهرة د.ت ، السفر الأول : ص٣٣ .

الجزع من الشيب ... وبكاء الشباب :

إذا كانت صورة المرأة أكثر حضورا في لوحة الشيب ، فـأن بامكاننا القول أن لوحة (بكاء الشباب) في مفتتح بعض القصائد هـي أكثر أحتضانا لظاهرة الشيب .. لعله بسيطة هي أن الضد لا يعـوف إلا بالضد ، أي أن من تمتع بالشباب وعاش مرحلتـه بهجـة وسـروراً ، وشعر بما كا يمنحه أياه من قوة ونضارة وممارسة لمتع الحياة الحسية ، واحساس باللذة واستغراق لحالات وجدانية ، كان حريا به أن يعود إلـى الشباب ليخبره " بما صنع المشيب"[٣٥]. وإذا كان المرء مدركـا تمامـا وعاجزا عن مقارعة جريان الزمن ، كما عجز الأولون من قبله فحسبه أن يبكي زمنا مدبرا ممثلا في الشباب ، أوقل في الحياة ولذتها ومتعها ، وآخر مقبلا لا يحمل غير اعباء الشيخوخة وسقمها وشقائها وتهافتـها " وما بكت العرب على شيء مثلما بكت على الشباب" .[٣٦]

ومن هنا حق البكاء على مفقود والجزع من آت ، في معادلـة يستحضر فيها الضدان اللذان لا ينبئان الا عن اثر الزمن (المادي) في الناس وتقلبهم من حال إلى حال . ويبدو أن الشعراء كانوا من أفصـح عن جريان الزمن من خلال التحول من الشباب إلى المشـيب ، وقـد تبايت رؤاهم في هذا الشأن تباينا في التفاصيل ، أو الصـور الفنيـة . وبوسعنا أن نرصد مضامينها الفكرية في لمحات ذات مدلول ... منـها ما نطالعه في (ميمية) (عمرو بن قميئة) الذي وصفه الأقدمون أنـه

---

[٣٥] أنظر : بكاءالناس على الشباب وجزعهم من الشيب ، ابن الجوزي ، تحقـيق هلال ناجي ، مجلد المورد ، المجلد الثاني ، العدد الثالث ١٩٧٣ : ص٩٣ .

[٣٦] المستظرف في كل فن مستطرف ، الابشيهي / بيروت د.ت : ٢/ص٦ .

أول من بكي شبابه[٣٧] في قوله :

يالهفَ نفسي على الشباب ولم	أفقدْ به إذ فقدتـــهُ أممـــا
قدْ كنتُ في مَيْعة أسرُّ بهـــا	أمنع ضيمي وأهبط العُصَـا
واسحب الرَّيطَ والبـرودَ إلـى	أدنى تجاري وأنفضُ اللَّممـا
لا تَغبِطْ المرءَ أن يقـالَ لـه :	أمسَى فُلانٌ لِعُمره حكَمَـا[٣٨]

واضح أن الشاعر قد بلغ من تقدم السن ما جعله يتحسر علـــى ايام الشباب التي عاشها في سرور ودعة ، ولا يرى شيخوخته ما يحسد عليه ، وأن أمسى بهذا العمر حكما !

ويضم ديوان (الأسود بن يعفر) بائية تصدرتها أبيات تنقل لنا مشاعر إنسان حزين كئيب ، يتحسر على شباب ماضٍ لا رجعة لـــه ، ويئن من وطأة شيخوخة لا جدوى من البكاء عليها ، فذلك ما آل إليـــه حاله بعد حلم جميل عاشه في ظلال شبابٍ ليته لم ينقض ، وهو يرسـل في أثر ذكرياته هذه الحسرة المؤلمة :

هل لشبابٍ فاتَ عـن مَطْلـبِ	أم ما بُكـاءُ البائس الأشيـــبِ
إلا الاضاليل ومـن لا يَـــزَلْ	يُوفي على مهلكـــه يعصــبِ
بُدِّلتُ شيباً قـد عـلا لِمَّتـي	بَعْدَ شبـابٍ حَسَـنٍ مُعْجِـبِ
صاحبتُـه ثُمَّـتَ فارقتُـــهُ	ليت شبابـي ذاك لـم يَذْهـبِ
وقد أراني والبلى كأسمــه	إذ أنا أصلَـع ولــمِ أحــدَبِ
ولم يُعرِّني الشيـبُ أثوابَـــهُ	أصبي عُيونَ البيضِ كالرَّبـربِ[٣٩]

---

[٣٧] معجم الشعراء ، المرزباني، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٦٠:ص٣ .

[٣٨] ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق خليل إبراهيم العطيـــة ، بغـداد ١٩٧٠ ، ق٤/ ص٤٠ .

[٣٩] ديوان الإسود بن يعفر : ق٦/٢١ـ٢٢ .

وفي ابيات مفردة يبكي (المرقش الأكبر) فقد الشباب ، ويتـألم لما أصابه من مشيب وصلع ظاهر ، في صورة شعرية مفحمة باليـأس والقنوط من أن ينفع الخضاب في ارجاع عجلة الزمن إلى الـوراء ، ان نفع في ستر الشيب الذي بدا كزهر ابيض فوق رأس أصلع ، حتـى أن القمل لم يجد لبيضه مكاناً فيه ! مشبهاً رأسه بأرض لـم تمطـر بيـن ارضين معطورتين بعد سواد شعر كسواد الغراب ، وذلك في قوله :

هل يَرْجِعَن لي لمتّي إنْ خَضَبْتُها　　إلى عهدها قبل المشيب خضَابُها

رأتْ أُقحوانَ الشيبِ فوق خَطِيطةٍ　　إذا مُطِرَتْ لـم يَستَكِنَّ صُوَابُهَـا

فإنْ يُظْعِنِ الشيبُ الشبابَ فقد تُرَى　　به لِمَّتي لم يُرْمَ عنها غُرابُها [٤٠]

ويسوق (المزرّد بن ضِرار الغطفاني) معادلة بيـن الشـيب والشباب ، من خلال حديثه عن صحوته من الحب وأسفه للشيبِ الـذي نشأ في الرأس في لون أبيض في الثمر والزهر ، وقد جلله ، الخضـاب بلون أحمر قانئ لا يخفي كبر سنه ، آسفاً لهذا الكبر الذي بـاعد بينـه وبين حب (سلمى) ومن هنا كان حزيناً لمقدم الشيب وفراق ريعـان شبابه قائلاً :

صَحَا القلبُ عن سلمى وملَّ العواذلُ　　وما كاد لأياً حبُّ سلمى يُزايـلُ

فؤاديَ حتى طـار غيُّ شبيبتـي　　وحتى علا وخطٌ من الشيب شامـلُ

يُقنّئـهُ مـاء اليرنـاً تَحتَـه　　شَكِيرٌ كأطرافِ الثَغامةِ ناصِـلُ

فلا مرحباً بالشيب من وفدِ زائـرٍ　　متى يأت لا تُحجبْ عليه المداخـلُ

وسقياً لريعـانِ الشبـابِ فإنّـه　　أخو ثقةٍ في الدَهر إذْ أنَا جَاهـلُ [٤١]

---

[٤٠] المفضليات ، المفضل الضبي : ق٥٣ / ص٢٢٦ .

[٤١] ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، بغداد ١٩٦١ : ق٢ : ص٣٢ــ٣٣ .

ويبدي (سلامة بن جندل) تفجعه من هلاك الشباب وانتهائه سريعا بما لا يدركه حتى " ركض اليعاقيب " والشيب في اثره لينهي حياة شباب مفعمة باللذة وطيب العيش ، وذلك وحده مبعث مسرة ممزوجة بأمنية يتعلل الشاعر بها ، وهي أن يدوم الشباب حتى يدوم الحب واللهو والصبّا ، ولنا أن نتأمل ذلك في قوله :

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيبِ — أودى وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ
ولّى حثيثاً وهذا الشيب يطلبُه — لو كان يدْركُهُ ركضَ اليعاقيبِ
أودى الشبابُ الذي مجدٌ عواقبُهُ — فيه نَلَذُّ ولا لذاتِ للشيْبِ
وللشبابِ إذا دامتْ بشاشتُهُ — ودّ القلوبِ من البيضِ الرّعابيبِ[42]

أما (مالك بن حَرِيم الهمداني) فلم يجد مفرا من الجزع من الشيب ومفارقته ربع الشباب وأن لم يك شأنه الجزع ! مشبها ما ظهر من شيب في سواد شعره بقطيع من بقر الوحش فيه سواد وبياض في منخفض من الارض أخصب بعد جدب ، وكان ذلك سببا في أن ينفر منه أخوانه ويؤثروا عليه في مجلس القوم كل شاب تام الشعر اسوده وقد وجد في تذكر الحبيبة (سلمى) والتشبيب بها ، بعد أن طرقه خيالها في سفره وفخره باتصافه بمآثر اربع هي : نجدته ، وقِراه وعفته وكرمه ، ما يبدد معاناته وجزعه من الشيب ، وذلك ما نطالعه في بعض ابيات عينيته التي تصدرت قوله :

جَزِعتَ ولم تَجزعْ من الشيب مَجْزَعَا — وقد فات ربْعيُّ الشباب فودَّعا
ولاحَ بياضٌ في سَوادٍ كأنّه — صُوارٌ بجوٍّ كان جَدْباً فأمْرَعا
وأقبلَ إخوانُ الصَّفاء فأوضعُوا — إلى كلِّ أحوى في المقامة أفْرَعا

---

[42] ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، حلب ١٩٦٨ ، ق٥ / ص١٢٦ .

تذكــرت سلمـــى والركاب كأنهـــا قطا وارد بين اللفـــاظ ولعلعـــا
فحدثتُ نفسي أنُّها أو خَيالَهـــــا اتانا عِشاءً حيـــن قُمنـــا لنــهْجَعَا[٤٣]

وينفرد (سَعْية بن العُرَيض) بموقف فكري رائد ينبئ بقناعتــه انه غدا شيخا فانيا ، وانه لن يعود إليه شبابه الهالك ، وعزّى نفسه بانه جرى مع الشباب في إبانة . وهو مكتف بحلمه في كبره ، وعندما يشعر بعجز فلا يستنكف أن يستشير كل صاحب رأي ، وذلك مـــا نطالعــه مقطوعته التي ضمت بقية ابياتها ما يتحلى به من مناقب تسر قومه بعد ان يقول :

ألاَ إنّي بَليــتُ وقـــدَ بقيــتُ وأني لن أعودَ كمـــا غَنِيــتُ
فإنْ أودى الشبابُ فلــم أُضِعْهُ ولم أتكلْ على أنّـــي غُذِيــتُ
إذا ما يهتــدي حِلمي كفاتـــي وأسألُ ذا البيان إذا عَيِيتُ[٤٤]

ولعل (النمر بن تولب) في لامية ضمها ديوانه ، أقـــدر مـــن رسم صورة الجسد بعد الشيب والشيخوخة ، فقد انكر نفسه وهو يـــرى تغير جلده لكبره بعدما كان مكتنز اللحم فضلاً عن تبدل لهيئته ، وقـــد شبه يرقان بدنه لماء الشباب بالاديم المصقول ، وأنه إذا مشــــى ليــس بمكسور ، متدثرا بكساء في عزلة غير متعلل فيها بأكل ولا بشرب ولا بمال .. حتى دعاه ذلك إلى أن يستعبر كل من يود الحيـــاة وطولـــها ، بواقع تجربته المريرة في ظل الشيخوخة والهرم قائلاً :

لَعَمري لقد أنكرتُ نفسي ورابني مع الشيب أبْدَالي التـــي أتبـــدلُ
فُضُولَ أراها في أديمي بعدَمـــا يكون كِفافُ اللحم أو هوَ أفضـــلُ
كأن مَحطّاً في يديْ حارثيـــــةٍ صَنَاعِ علَتْ مني به الجلدَ من عل

---

[٤٣] الأصمعيات ، الأصمعي : ق١٥/ص٦٢ .

[٤٤] المصدر نفسه : ق٢٢/ ص٨٣ـ٨٤ .

ودهري فيكفيني القليل وأنّني ... أؤوب إذا ما أبتُ لا أتعللُ
تَداركُ ما بعدَ الشبابِ وقبلَهُ ... حوادثَ أيامٍ تمرُ وأغفلُ
يود الفتى طولَ السلامةِ والغنى ... فكيف ترى طولُ السلامةِ يفعلُ[45]

ويبدي (عدي بن زيد) تذمره وسخطه من الشيب الذي علاه ، وقد عدّه ضيفا غير مرغوب فيه طالما أراد النجاة منه ، دون طائل مدركاً أنه حياة الهم والسقم ، بعد شباب هو لذة العيش وحسن الفعال وكان الاحب الاقرب ... ذلك ما نطالعه في هذه الأبيات :

نَزَلَ المشيبُ بوفدهِ لا مرحبا ... وَرأى الشبابُ مكانَه فتجنَّبَا
ضيفٌ بغيضٌ لا أرى لي عُصرةً ... منه هَرَبْتُ فلم اجدْ لي مهْرِبا
بُدِّلْتُ بالعيش اللذيذ ونعمة الـ ... ـعُمْرين هَمّاً شاهدا ومغيَّبَا
ولقد يُصاحبني الشبابُ فلم أكنْ ... آتي به إلا الفَعَالَ الأصوبا
ولقد حفظتُ مكانَهُ ورَعيتُهُ ... وَجَعَلْتهُ منِّي الأحبَّ الأقرَبَا[46]

وفي نص آخر يعي (عدي بن زيد) أن بكاءه على الشباب وجزعه من الشيب لن يحقق عودة شبابه إليه ، فهو زمن ماض لا يرجع ، والشيب علامة على جريانه ، ودالة على سنه ، كما في هذه المقطوعة :

بانَ الشبابُ فمالَهُ مردودُ ... وعليّ من سِمةِ الكبيرِ شُهودُ
شيبٌ برأسي واضحٌ أُعقبْتُهُ ... من بعد آخر بَانَ وهو حَميدُ
وارى سوادَ الرأسِ ينقُصُهُ البِلى ... والشيبُ عن طُول الحياة يَزيدُ
ولقد بكيتُ على الشباب لو أتَّهُ ... كان البكاءُ به عليَّ يَعُودُ
ليس الشبابُ وأنْ جَزِعْتَ براجعٍ ... ابداً وليس له عليكَ مُعيدُ[47]

---

[45] شعر النمر بن تولب : ق٣١/ص٨٤ــ٨٧ .

[46] ديوان عدي بن زيد العبادي ، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد ، بغداد ١٩٦٥ : ق٢٤/ص١١٣ .

[47] المصدر نفسه : ق٤٠/ ص١٢٣ .

ونطالعنا ابيات مبثوثة في تضاعيف لوحات فنية ، وموضوعات شعرية آخر متضمنة آهات الشعراء وحسراتهم وزفراتهم من أفعال الشيخوخة وادبار الشباب ، وهي تعكس في مجملها تأثير الشيب أو فعل الزمن في نفوسهم بعد أحساس بوطأته عليهم ، وتجاوزهم نضارة الشباب ،معبرين عن ذلك بصورة شتى ، فمنهم من شبه الشباب بـ " سحاب ريح " ماض لا يرجع وذلك في قول بشر بن أبي خازم :

قليلا والشباب سحاب ريح إذا ولى فليس له ارتجاع[٤٨]

ومنهم من يرى ان الشيب نذير الشر وذلك ما نتأمله في قول عدي بن زيد :

وابيضاض السواد من نذر الشـ ـر وهل بعده لأنس نذير[٤٩]

وفي منطلق (الأعشى) أن الشباب غير حليف للمرء ، ليذكر بذلك كل من يستاء من حلول الشيب ، ولا يتجمل بالصبر ، إذ يقول :

ولقد ساءها البياض فلطت بحجاب من دوننا مسدوف

فاعرفي للمشيب إذ شمل الرأ س فإن الشباب غير حليف[٥٠]

أما عبيد بن الأبرص فيعد الشيب عيبا لمن يشيب ، قائلا في هذا الشأن :

والشيب شين لمن أرسى بساحته لله در سواد اللمة الخالي[٥١]

---

[٤٨] ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٧٢ : ق٢٣/ ص١١٢ .

[٤٩] ديوان عدي بن زيد : ق١٦/ص٨٥ .

[٥٠] ديوان الاعشى الكبير : ق٦٣ / ٣١٣ .

[٥١] ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق حسين نصار ، مصر ١٩٥٧ : ق٤ / ص١٠٤ .

فضلاً عن عشرات النصوص الشعرية الأخرى المفصحة عن شكوى المعمرين ومعاناتهم مما الحقه الزمن بهم .[٥٢]

الشيب ... في تجارب الشعراء الحياتية :

لقد مرّ بنا أن الشيب كان العلامة الظاهرة لواقع التغير الطارئ على حياة الإنسان (الشاعر) وقد عبر عن ذلك من خلال تجربته مع المرأة، وتحسره على انقضاء الشباب، وتذكره ايامه،وجزعه من الشيب، وبغضه له ، حتى يمكن القول أن الشيب في المبحثين المتقدمين كان (غاية)حين يتغزل الشاعر أو يعاتب أو حين يبكي أو يجزع ! .

فضلاً عن ذلك نطالع نصوصا شعرية أخرى تكشف في أبعادها الفكرية عن استعانة الشعراء بالشيب في تجاربهم الإنسانية المختلفة ، وقد غدا ـ أي الشيب ـ وسيلة فيها لا غاية !

ومما يدعم وجهة النظر في هذا الشأن أن حديث الشعراء من الشيب اقتصر على البيت المستقل ـ في الأغلب الأعم ـ ولم يودع في أطار لوحة فنية مستقلة به ، وهذا ما يتعلق بالخصائص الشكلية أو المظهر الخارجي لنظام القصيدة ، أما من الناحية المضمونية فأننا لا نقرأ ما يفصح عن شكوى الشعراء وجزعهم أو بكائهم أو حزنهم على الشيب ، إذ غالبا ما يكون حديثهم عنه ـ بشكل عرضي أو عابر من اجل تحقيق زخم تأثيري يستدر تعاطف المتلقي وقناعته بالموقف الموضوعي .

---

[٥٢] أنظر على سبيل المثال لا الحصر : ابيات (زهير بن جناب الكلبي) في طبقات فحول الشعراء ... : ص٣٥ـ٣٧ ، وشعر (الربيع بن ضُبَيع الفزاري) جمع د. عادل البياتي ، ضمن كتاب (دراسات في الأدب الجاهلي) المغرب ١٩٨٦ : ق٤ / ص٢٢٨ .

وحسبنا في هذه الطائفة من النصوص الشعرية ، ما يقطع لنا الشك باليقين ، فعلى سبيل المثال . لا الحصر . نقرأ في احد ابيات دالية (دريد بن الصمة) الذائعة الصيت رثاء لاخيه (عبد الله) يتكئ فيه على ظاهرة الشيب ليصفه بالاناة والحلم وحزم الشيوخ ــ بعد جهلة الفتوة واللهو ــ ما أن ملأ الشيب رأسه ، وذلك ما نتأمله في قوله :

صَبَا ما صَبَا حتى عَلاَ الشَّيبُ رأسَهُ فلمّا عَلاَهُ قَال للباطلِ ابعُدِ(٥٣)

أما (الأعشى) فيتوسل بـ (شيبه) أو قل (بوقاره) ليدفع عن نفسه تهمة الأنتحال التي عدّها عاراً ما بعده عار في مثل سنه ، حتى يحقق الأطمئنان والشعور بامانته ، وذلك ما ضمته بعض ابيات (رائيته) ولا سيما قوله :

فَمَا أَنَا أمْ انتحالي القَوا في بعَد المشيب كفى ذاكَ عَارَا

وَقَيّدنِي الشّعرُ في بيتهِ كمَا قيّدَ الآسراتُ الحِمارَا(٥٤)

ويبدو أن (الخنساء) لم تجد افضل من الشيب تتجلل به ، لتعبر من خلاله عن أهات نفس متوجعة ، ونفثات صدر متألم حزنا على مقتل (صخر) أخيها ، وفقدها اياه ، وذلك ما أودعته لنا في هذه المحاورة :

تقولُ نساءٌ شِبْتِ من غيرِ كَبْرَةٍ وأيْسَرُ مما قد لَقِيتُ يُشِيبُ

اقول ابا حسّانَ لا العيشُ طيّبٌ فكيف وقد أُفرِدتُ منك يَطيبُ(٥٥)

وهذا (حسان بن ثابت) يعمد إلى رسم صورة تكريه الحرب بتشكيل فني يقوم على المبالغة والأغراق ، تتكئ أبعاده الفكرية على

---

(٥٣) الأصمعيات ، الأصمعي : ق٢٨ / ص١٠٨ .

(٥٤) ديوان الأعشى الكبير : ق٥/ ص٥٣ .

(٥٥) ديوان الخنساء ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ١٩٦٣ : ص١٥ .

تشيب (الناهد العذراء) من هولها ، وسقوط (الجنين) من مخافتها ، في دلالة لفظة الشيب المعبرة عن الأسى والحزن وتلاشي النضارة والصبا ، بما يتلاءم مع ما تخلفه الحرب من آثار في نفوس المصطلين بها ، كما في قوله :

تشيب الناهد العذراء فيها ويسقط من مخافتها الجنين[٥٦]

ويشاطره في هذا الشأن (عمرو بن معد يكرب) الذي لم يجد أفضل من صورة العجوز (الشمطاء) لينعت بها الحرب حين تستعر وتشيب ضرامها ويقبحها في النفوس بعد أن تبدو ـ أي الحرب ـ للوهلة الأولى فتاة جميلة يسعى إليها من يجهل ما تخفيه وراء زينتها " وكان العرب لا يقولون امرأة شيباء أنما اكتفوا بالشمطاء عن الشيباء "[٥٧] كما في هذه الأبيات :

الحرب أول ما تكون فتية تسعى ببزتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل[٥٨]

وقد يطول بعد ذلك أمر استقصاء أمثلة شعرية لا سبيل إلى حصرها فحسبنا أن ما استشهدنا به قد يعطي تصورا بشأن أثر ظاهرة الشيب في البنية الفكرية والفنية لبعض القصائد عندما يغدو الشيب نفسه غاية ، فضلا عن أثره في إبراز الأبعاد الفكرية ، وتشكيل الصور الفنية للأبيات المفردة التي كان حضوره فيها وسيلة .

---

[٥٦] شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، بيروت ١٩٨٠ : ص٤٧٨ .

[٥٧] اللسان : شيب .

[٥٨] ديوان عمرو بن معد يكرب ، تحقيق هاشم الطعان ، بغداد ١٩٧٠ : ق٦٦ـ١٥٦ .

المصـــادر والمراجـــع

١ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الاسطورة في الشعر العربي ـ قبل الإســـــلام ــ أحمـــد إســـماعيل النعيمـــي ، دار ســــــينا ، مصـــــــر ١٩٩٥ : ص٢٤٠ ــ ٢٤١ .

٣ــ الاصمعيات ، الأصمعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، مصر ، ١٩٧٦ : ق٦٠ / ص١٧٠ .

٤ــ بكاء الناس على الشباب وجزعهم مـــــن الشـــيب ، ابـــن الجوزي ، تحقيق هلال ناجي ، مجلـــد المـــورد ، المجلـــد الثاني ، العدد الثالث ١٩٧٣ : ص٩٣ .

٥ــ البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هـــارون ، القاهرة ، د. ت : ١ / ص١٨٧ .

٦ــ الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، د. مصطفــــــى عبـــد اللطيف ، بغداد ١٩٧٧ .

٧ـ دراسات في الأدب الجاهلي ، د. عادل البياتي ، المغرب ١٩٨٦ .

٨ـ دراسات نقدية في الأدب العربي ، د. محمود الجادر ، بغداد ١٩٩٠ .

٩ـ ديوان الأسود بن يعفر ، صنعه د. نوري القيسي ، بغداد ١٩٧٠ .

١٠ـ ديوان الأعشى ، شرح وتعليق محمد محمد حسين ، مصر ١٩٥٠ .

١١ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٨٤ .

١٢ـ ديوان بشر بن ابي خازم ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٧٢.

١٣ـ ديوان الخنساء ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ١٩٦٣ .

١٤ـ ديوان ذي الاصبع العدواني ، جمعه وحققع عبد الوهاب العدواني ، ومحمد فايق الدليمي ، الموصل ١٩٧٣ .

١٥ــ ديوان سلامة بن جندول ، تحقيق د. فخر الدين قبـــاوة ، حلب ١٩٦٨ .

١٦ــ ديوان طرفة بن العبــــد ، تحقيــق كــرم البســتاني ، بيروت د.ت .

١٧ــ ديوان عبيد بن الأبــرص ، تحقيــق حســين نصـــار ، مصر ١٩٥٧ .

١٨ــ ديوان عدي بن زيد العبادي ، حققه وجمعه محمد جبـــار المعيبد ، بغداد ١٩٦٥ .

١٩ــ ديوان عروة بن الورد ، تحقيق عبد المعين الملوحـــي ، دمشق ١٩٦٦ .

٢٠ــ ديوان علقمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقـــال ، ودريــة الخطيب ، حلب ١٩٦٩ .

٢١ــ ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق خليل إبراهيم العطيـــة ، بغداد ١٩٧٠ .

٢٢ــ ديوان عمرو بن معد يكرب ، صنعه هاشـــم الطعـــان ، بغداد ١٩٧٠ .

٢٣ـ ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، بغداد ١٩٦١ .

٢٤ـ الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، عبد الاله الصائغ ، بغداد ١٩٨٢ .

٢٥ـ شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، بيروت ١٩٨٠ .

٢٦ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة ثعلب، القاهرة ١٩٦٤.

٢٧ـ شعر النمر بن تولب ، صنعه د. نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٩ .

٢٨ـ طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه ، محمود محمد شاكر ، القاهرة ، د.ت .

٢٩ـ كلكامش ، د. سامي سعيد الأحمد ، بغداد ١٩٩٠ .

٣٠ـ لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٦ .

٣١ــ المــرأة فــي الشــعر الجــاهلي ، علــي الهاشــمي ، بغداد ١٩٦٠ .

٣٢ــ المستظرف فــي كــل فــن مســتظرف ، الابشــيهي ، بيروت د.ت .

٣٣ــ معجم الشعراء ، المرزباني ، تحقيق عبد الستار فــواج ، القاهرة ١٩٦٠ .

٣٤ــ المفضليات ، المفضل الضبي،تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، مصر ١٩٧٦ .

٣٥ــ ملحمة كلكامش بن طه باقر ، بغداد ١٩٧٠ .

٣٦ــ هو الذي رأى (ملحمة قلقمش) ، عبد الحق فــاضل ، بغداد ١٩٨١ .